

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

الفصل الثالث

السخرية الشخصية

سبق أن تحدثنا عن السخرية الوطنية والسياسية، وعن السخرية الاجتماعية وعرفنا أن الواقع الاجتماعي غير منفصل عن الواقع السياسي، وإنما هو من تداعياته ونواتجه. وسوف نتحدث في السطور التالية – إن شاء الله – عن السخرية الشخصية. والسخرية الشخصية هي حصاد للواقع الاجتماعي، وإفراز دقيق وعميق للصور الجزئية السلبية التي تعيش في المجتمع، والتي يتكون منها النسيج العام له، من خلال ضمنية بعضها إلى بعض.

ويمكننا أن نقسم السخرية الشخصية – من خلال الأشعار الساخرة التي بين أيدينا – إلى لونين: السخرية الشخصية الذاتية، والسخرية الشخصية الغيرية. **ولكل من هذين اللونين تفرعات سوف نوضحها فيما يلي:**
أولا: السخرية الشخصية الذاتية:

السخرية الشخصية الذاتية: هي التي يسخر الشاعر فيها من نفسه، ومن الأحداث والمواقف التي مرت به، أو التي يسخر فيها من أهله وذويه. وهي لون طريف من ألوان السخرية؛ لأن السخرية – في الغالب – تتوجه إلى الغير، لكن أن تكون السخرية من الشاعر لنفسه، فهذا هو وجه الطرافة فيها. وطبعاً أن يكون الإنسان الذي يسخر من نفسه أو يتهمك بها، ذا طبع مرح ونفسي مياله إلى الضحك والتفكه، حتى ولو كانت نفسه هي الضحية التي تقدم في ذلك. وقد حاول كثير من النقاد والباحثين، أن يعللوا سخرية الشخص من نفسه وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، منها:

أن تهكم الشخص بنفسه – على إضحاكه – كثيراً ما يكون وقاية له من تهكم الناس به، وانصرافهم عن الضحك من عمله أو حالته إلى الضحك من فكاهته.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

ولقد يكون تهكمه بنفسه تنفيسا عن غيظ مكتوم، أو صدى لاستهزائه بالأحداث التي مرت به، فهو ضرب من التعالي على حوادث الدهر ومفارقاته^(١).

*وقد يكون تهكم الشخص بنفسه بسبب الرغبة في الحصول على خير يريده فيأخذ في الازدراء بنفسه أمام الجالسين.

وكثيرا ما نجد هذا في المجتمعات التي تضم شخصا يقصد عون الآخرين له عن طريق إضحاكهم، كما كان معروفا في بلاط الخلفاء ومجالس الأمراء ممن كانوا يتخذون من أنفسهم مادة للضحك والسخرية؛ حتى ينالوا من الرضا ما يسمح لهم أن يعيشوا عالة على السادة وعلية القوم^(٢).

*وقد يتخذ الإنسان السخرية من النفس وسيلة للشكوى من الحرمان، والتخلص من آلام الفقر والعذاب، أو خيبة الأمل^(٣).

*وقد يسخر الإنسان من نفسه؛ ليسخر ضمنا من أشياء أخرى في الحياة من حوله إذا وقفت في طريقه، وحالت دون تنفيذ ما يريد، فلم يوفق مثلا في أمر ما بسبب الأنظمة غير الصالحة، والروتين الضيق الأفق^(٤).

هذا، والسخرية الشخصية الذاتية تتفرع إلى فرعين، هما:

١. السخرية من العيوب الجسدية:

سخر بعض الشعراء المصريين في القرن العشرين من أنفسهم، وتناولوا عيوبهم الجسدية والأخلاقية والنفسية بصورة تثير الضحك أحيانا، والألم والسخط في أحيان أخرى.

والمقصود بالجسد: هو شكل الجسد كله، أو شكل عضو من أعضائه، والحركة التي تؤديها الأعضاء أو بعضها، وكذلك ما يتصل بالجسد كاللحية^(٥).

١- الفكاهة في الأدب، د. أحمد الحوفي، ج ١/١٠٣ بتصرف يسير.

٢- السخرية في أدب المازني، د. حامد الهوال/٦٣، ٦٤ بتصرف يسير.

٣- المصدر السابق نفسه/٦٦.

٤- المصدر السابق نفسه/٦٧.

٥- راجع: الفكاهة في الأدب، د. أحمد الحوفي، ج ١/٥٨.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

وجدير بالذكر أن نشير- هنا- إلى أن السخرية من العيوب "لا تتناول العيب الجسمى تناولاً مجرداً، وإلا أصبحت في موضع اللوم الأخلاقي الذي يفقدها جمالها، وحسن تأثيرها على النفس، ولكنها تتناول - بالدرجة الأولى- مسئولية صاحب العيب، باعتباره كان يستطيع ألا يصاب بهذا العيب إذا التزم الأسلوب الإنساني والعادات الرياضية السليمة"^(١).

ومن خلال هذه الرؤية، وجدنا بعضاً من الشعراء في النصف الأول من القرن العشرين، يسخرون من بعض عيوبهم الجسدية، التي سببت لهم في حياتهم كثيراً من الحرج.* من ذلك قول الشاعر "صالح الشرنوبى" ساخراً من دمامة وجهه"^(٢):

لك يا وجهي التعيس هجائي	في صباحي ومغربي وعشائي
أنت متحف الدمامة والقبح (م)	تنزهت عن صفات البهاء
مع سبق الإصرار صاغك ربي	لعنة في نواظر الأحياء
حسب عيشي من سوء خلقك نحسا	وبلاء مـزودا ببـلاء

فالشاعر - هنا - يسخر من قبح وجهه الذي جلب له التعاسة والشقاء في كل لحظة يعيشها، فحسبه من البلاء أنه نفر عنه الغيد الحسان.

وتكمن السخرية هنا: في تخصيص الشاعر هجاءه وسخريته بوجهه لا إلى غيره وكأنه قصر ما عنده من هجاء وسخرية عليه دون غيره لفرط القبح فيه.

وقد أعانه على ذلك أسلوب القصر الذي استعمله في البيت الأول.

كما تكمن السخرية - في البيت الثاني - حين يرسم الشاعر لوجهه هذه الصورة المقززة، فهو يجعله متحفاً للدمامة والقبح، ثم يوغل في السخرية حين يجعله منزهاً عن صفات البهاء والكمال.

وهذه سخرية لادعة، تثير في نفوسنا أطيافاً من الألم والسخط.

١- السخرية في أدب المازني/٥١ .
٢- ديوان صالح الشرنوبى/٢٦٥ "الخفيف التام".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

* ومن ذلك قول الشاعر "عبد اللطيف النشار" ساخرا من علة العرج التي أصابته عندما تقدمت به السن^(١):

نحو الثمانيين ولا أبتلي بعلّة هل ذالكم يعقل؟
ما دامت الأروس في صحة فهين أن تبتلى الأرجل
وكنّت إذا أمشي يقول انبرى لا يعرف الريث ولا يعجل^(٢)
فصرت تيمورلنك في مشيتي بل عله في مشيه أفضل^(٣)

يبدأ الشاعر - هنا- بداية هادئة حين يستبعد أن يصل إلى سن الثمانين، دون أن يصاب بعلّة في جسده ، ثم يذكر أن العقل ما دام سليما فشيء هين أن تصاب الأرجل أو أي عضو آخر من أعضاء الجسد .

ثم يأتي موطن السخرية- في البيتين الثالث والرابع- فيذكر أنه كان يمشى في ماضي أيامه مشية معتدلة سليمة من العيب والشين، لكنه صار في أيامه الأخيرة مثل "تيمورلنك" في عرجه واعوجاج مشيته.

ويمعن الشاعر في السخرية أكثر، فيذكر أن (تيمورلنك) على عرجه الفاحش- ربما كان أجمل منه في مشيته وحركته .

وهي سخرية خفيفة ومثيرة للضحك؛ لأن الشاعر عندما يسخر من علته بهذه الصورة، يصبح مبعثا مضاعفا للضحك، حتى لكأنه هو الضحك نفسه.

١- ديوان النشار/٣٩٩٠ "السريع التام".

٢- (١) كلمة (يقول) في هذا البيت غير مناسبة، والأنسب أن تكون (يقال) وهي لا تختلف في الوزن. وكذلك كلمة (إذا) الصواب فيها (إن) حتى لا ينكسر الوزن.

٣- تيمور لنك" قائد عسكري مغولي، ولد بالقرب من "كش" من بلاد ما وراء النهر في سنة ١٣٣٦م، وكان أعرج لحادثة تعرض لها في صباه.

ينظر: (دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، إعداد: إبراهيم خورشيد، أحمد الشنتناوي، ود. عبد الحميد يونس المجلس العاشر/٢٩٨ وما بعدها، الطبعة الثانية، دار الشعب ١٩٦٩م).

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

وهذا النوع من السخرية قليل؛ لأنه قلما يجرؤ شاعر على الإقدام عليه؛ لما يحتاج من شجاعة أدبية، وقوة في النفس.

٢- السخرية مما له اتصال بالنفس:

وفي إطار السخرية الشخصية الذاتية من العيوب الجسدية، نجد الشعراء- أيضا - يسخرون من الأشياء التي لها اتصال بهم، فيسخرون - مثلا - من الحرمان تعبيراً عن الرغبة في التخلص من آلام الفقر والعذاب، وخيبة الأمل، وفي ذلك من التنفيس عن أنفسهم ما فيه.

ويرى الدكتور طه حسين: أن تكلف الشكوى من البؤس وانتحال سوء الحال والافتنان في شكوى الناس والزمان، كان بدعا في العقد الأول من القرن العشرين، وأن حافظا كان يذيع هذا البدع ويروجه^(١).

وعلى العكس من ذلك يرى كثير من الباحثين أن سخرية الرجل من فقره عريقة في تاريخ الشعر العربي في شتى عصوره، وأن الأمة في تاريخها الماضي، أبدت جمودا عجيبا، وشحا أليما في حافظ وأمثاله، تصفق لهم طويلا، وتتركهم يتألمون من الحاجة إلى ضروريات الحياة، ولا تعينهم إلى أن ركنوا إلى الوظيفة، ولا تشجعهم بقليل مما في أيديها^(٢).

وسواء أكان هذا البؤس بؤسا حقيقيا أم بؤسا مصطنعا، فقد عبر به الأدباء عن أحوالهم السيئة في تلك الفترة، كما عبروا عن طموحات نفوسهم، وأمنيات قلوبهم المنسحقة تحت عجالات الضياع.

* يقول "حافظ إبراهيم" ساخرا من شقائه وتعاسته في الحياة^(٣):

وبيتي فارغ لا شئ فيه سوى وإنني في البيت عارى

١- راجع: حافظ وشوقي،/١٠٠، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٨٢م.
٢- حافظ إبراهيم شاعر القومية العربية، بقلم محمد هارون الحلو/٤٦، طبعة المؤسسة المصرية العامة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة.
٣- ديوان حافظ إبراهيم،/٢٠٤.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

ومالي جزمة سوداء حتى أوافيكم على قرب المزار
وعندي من صحابي الآن رهط إذا جاعوا فآساد ضواري

يسخر "حافظ" في هذه الأبيات من ملامح الشقاء والتعاسة التي أطبقت عليه فبيته خال من الأثاث، ومن كل وسائل الراحة ، حتى إنك عندما تنظر في هذا البيت لا ترى فيه شيئاً ، غير حافظ الذي يتوقع في أحد أركانه عارياً، فليس لديه ثوب ولا حذاء يمكنانه من الخروج والاختلاط بالناس .

وهذه سخرية فجة من حرمان حقيقي أو موهوم .

* ومنه قوله – أيضاً- ساخرا من رثاثة ثوبه القديم بعد أن كسى ثوبا جديدا^(١):
صحبتني قبل اصطحابك دهرا بذله في تلون الحرياء^(٢)
نسبوها لطيلسان ابن حرب نسبة لم تكن بذات افتراء^(٣)
كنت فيها إذا طرقنت أناسا أنكروني كطارق من وباء
كسف الدهر لونها واستعارت لون وجه الكذوب عند اللقاء^(٤)

يسخر "حافظ" في هذه الأبيات من رثاثة ثوبه، ويجمع له من الصفات المذمومة ما يدعو إلى النفرة منه، فهذا الثوب قد أخذ ألوانا شتى، وصورا مختلفة مع الزمن ، فمرة هو أحمر، ومرة هو أخضر، ومرة هو أسود، كما أنه قديم بال، حتى إن الناس لينكروه إذا أقبل عليهم به؛ مخافة أن يصيبهم بالأمراض والأوبئة المعدية .

وتكمن السخرية هنا: في وصف حافظ الساهر لثوبه القديم بالحرياء في تعدد ألوانه ورقعه، مع ما تثيره كلمة "الحرياء" في النفس من قلق واشمئزاز، وإحساس بالنفرة .

١- الديوان/ ٢٠٦ • "الخفيف التام".

٢- البذلة من الثياب: ما لا يصاب منها • والحرياء: دويبة تتلون بألوان مختلفة .

٣- الطيلسان: كساء أخضر من صوف • وطيلسان ابن حرب: مثل يضرب لكل ثوب قديم .

٤- كسف الدهر لونها: أخفاه وحجبه .

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

كما تبدو السخرية – أيضا – في تشبيه هذا الثوب بطيلسان ابن حرب ، وهو رداء يضرب به المثل في القدم والبلى، فكأن ثوب حافظ لما بلغ من الرثاثة والبلى مبلغا عظيما أشبه هذا الطيلسان القديم في تهالكه .

والسخرية – هنا – تدل دلالة واضحة على سوء الأحوال الاقتصادية في مصر في ذلك الوقت، كما أنها تدل على تيرم الناس بما لحقهم من بؤس وشقاء

* وعلى نفس هذا الدرب تبدو خطأ الشاعر البائس "عبد الحميد الديب" حين يسخر من شقائه وتعاسته فيقول^(١):

أفي حجرتي يارب أم أنا في لحدى؟
وهل أنا حي أم قضيت؟ وهذه
تراني بها كل الأثاث، فمعطفي
وأما وساداتي بها فجرائد
فأهدأ أنفاسي يكاد يهدها
تساكنني فيها الأفاعي جريئة
جوارك ياربي لثلي رحمة
ألا شد ما ألقى من الزمن الوغد
إهابة إسرافيل تبعثنى وحدى^(٢)
فراش لشومي أو وقاء من البرد!!
تجدد إذ تبلى على حجر صلد
وأيسر لس في بنايتها يردي
وفي جوها الأمراض تفتك أو تعدى
فخذني إلى النيران لا جنة الخلد!

يسخر "الديب" في هذه الأبيات من حالة البؤس والحرمان التي تغتال آماله في كل لحظة، وهو يتحامق حين يزعم أنه لا يدري في أي مكان هو؟ أفي حجرة أم في قبر! كما أنه – لفرط معاناته وألمه – لم يعد يدري أهو حي أم أنه قد مات!

والشاعر يضم إلى خراب المسكن ووحشته: خلوه من أي أثاث، فذات الشاعر هي كل ما في حجرته من أثاث .

١- عبد الحميد الديب الشاعر البائس / ١٣٩٠ "الطويل".

٢- ديوان المازني، ٤٣/، ٤٤، "الطويل".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

وهذه الحجرة - مع ما فيها من وحشة وخراب- هي حجرة متهاوية، يكاد أهدأ أنفاس الشاعر تهدمها، وفي ذلك من السخرية اللاذعة ما فيه، ومن المبالغة والتزويد ما يكشف عن سوء الحال.

ولعل ما جاء به الشاعر - في بيته الأخير- من طلب النقلة من الدنيا، والرحيل عنها، ولو إلى النار، من خير ما يصور ضيق الشاعر بالحياة، وبرمه بها؛ بسبب ما لحقه فيها من بؤس وشقاء.

* ومن ذلك - أيضا - قول الشاعر "إبراهيم المازني" ساخرا من تعاسته^(١):
أبيت كأن القلب كهف مهدم برأس منيف فيه للريح ملعب
أو أني في بحر الحوادث صخرة تناطحها الأمواج وهي تقلب
يسخر الشاعر- في هذين البيتين - من شقائه وتعاسته، ويرسم ملامح هذا الشقاء من صور تشبيهية يقدمها، ويبني عليها كلامه.

فهو يصور حال قلبه حين يمسي- وقد أثقلته الهموم والآلام- بحال كهف خرب متهدم، ألقته الأقدار فوق رأس جبل شاهق، للريح فيه صراخ وعواء مخيف. ثم يعطي الشاعر تشبيها آخر لحاله، إنه كصخرة ملقاة في بحر من الحوادث، والأمواج العاتية تناطحها بعنف وشدة لتنال منها، أو تفت من عزمها.
وهاتان الصورتان تتعاونان معا في رسم لوحة فنية لحالة الشقاء والتعاسة النفسية التي تعصف بالشاعر.

هذا عن السخرية الشخصية الذاتية في النصف الأول من القرن العشرين، أما عنها في النصف الثاني منه، فقد ندرت السخرية من العيوب الشخصية الذاتية التي تخص الجسد، وإنما اتجه الشعراء إلى مواصلة السخرية مما له اتصال بالنفس، حيث إنهم كانوا يجدون في الحديث عنه راحة تعمل على كسر حدته في نفوسهم.

١- ديوان دائما أنت بقلبي / ١١٣، ١١٧، "الكامل".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

ومن ذلك قول الشاعر "فاروق جويده" من قصيدته "إنسان بلا إنسان"^(١) :

- يا بحر خاضمني الزمان وإنني
- ما عدت أعرف في الحياة مكاني !
- ما كنت أحسب ذات يوم أنني ..
- سأصير أغنية بغير معاني !
- ما كنت أحسب ذات يوم أنني
- سأصير إنسانا بلا إنسان !

يسخر الشاعر - في هذا النص - من إحساسه الطاعني بالشقاء والتعاسة في الحياة، وتتجسد السخرية من خلال نداء الشاعر للبحر، ومخاطبته إياه بما يؤلمه ويؤرقه، وكأنه لما لم يجد من البشر من يستمع إليه، لجأ إلى البحر يبيته مشاعره وخواطره، واضطرار الشاعر إلى اللجوء إلى ما لا يعقل، يعد لونا من السخرية من واقع المجتمع الذي لم يستطع أن يوفر حتى مجرد الشعور بالسعادة لأبنائه.

□ ومنه - أيضا - قول الشاعر "فوزي خضر" في إحدى جمراته^(٢):

- كنت صغيرا ..
- أتقافز في هذى الدنيا
- منطلقا .. مرحا
- تتزاحم حولي أحلام طازجة
- واليوم:
- أقبع منكسرا ..
- تتزاحم حولي ..

١- ديوان : دائما أنت بقلبي / ١١٣، ١١٧، "الكامل".

٢- ديوان بركان يركض / ٦٦، "الرجز".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

▪ جثث الأحلام ▪

فالشاعر - هنا - يسخر من شقائه وتعاسته، والتي بدت في انكسار آماله، وتحطم أحلامه .
والسخرية تتجسد - هنا - من خلال هذا التناقض الغريب الذي تفصح عنه اللغة
ويبرزه الموقف . . . ففي وقت الصبا كانت أحلام الشاعر متزاحمة ومتوهجة ونابضة . . . أما
اليوم، فقد انكسر خاطره، وامتألت الطرق حوله بجثث آماله المنهارة المحطمة .

٣. السخرية الشخصية الذاتية من العيوب الأخلاقية:

أما بالنسبة للسخرية الشخصية الذاتية التي تتصل بالعيوب الأخلاقية، مثل:
البخل، والحقد، والغرور، والجبن، وحب الظهور . . . الخ فقد ندر أن نجد شاعرا مصرية
في القرن العشرين - فيما اطلعنا عليه من أشعار - يسخر من عيب أخلاقي في نفسه، ولعل
السر في ذلك: يرجع إلى إحساس الشاعر بمسئوليته الكاملة عن هذا العيب الأخلاقي لأنه
كان بمقدوره أن يتجنبه ويتحاشاه، ولكنه أهمل في حق نفسه وحق مجتمعه حتى ظهرت
أخلاقه بصورة غير مرضية .

وإنما جهر الشعراء المصريون - في القرن العشرين - بالسخرية من عيوبهم الخلقية
كالعمى، والعرج، والدمامة دون حرج؛ لأنهم كانوا يستشعرون أنهم غير مسئولين عن هذه
العيوب؛ لأن الله هو الذي خلقهم على هذه الصورة، وأرادها لهم، وكأنهم - بذلك - يقدمون
السخرية ومعها العذر .

ومن الأمثلة النادرة التي عثرت عليها في السخرية الشخصية الذاتية من العيوب
الأخلاقية: قول الشاعر "العوضي الوكيل" ساخرا من ابتلائه بمرض الحقد على الآخرين
وذلك من قصيدته "حقود"^(١):

حقود فداووني من الحقد إنني وإن كنت خير الشعارين حقود
وإنني ملاك غير أن ببطرتي معاني للترب اللعين تعود

١- ديوان شفق/١٠٣، ١٠٤ "الطويل".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

أأخرج عن أصل تأصل في دمي وكيف وقلبي بالأصول مقود
فالشاعر يسخر من نفسه - في هذه الأبيات- لما يتصف به من عيب أخلاقي
وهو الحقد.

وتبدو هذه السخرية حين يبدأ الشاعر كلامه بكلمة "حقود" وهي واقعة خير لمبتدأ محذوف، والتقدير: أنا حقود، وهذا الحذف له دلالة فنية، وهي أن الشاعر أراد أن يسارع إلى ذم نفسه، والتركيز على هذه الصفة دون غيرها، واختار كلمة (حقود) دون (حاقد) لما فيها من المبالغة، وحتى يعطى - بذلك- إشارة إلى مدى سيطرة هذا العيب الأخلاقي عليه وامتلاء نفسه به.

كما أن الأمر الوارد في قوله: (فداوونى) يعلن عن عجز الشاعر عن تقويم نفسه وتهذيب طباعه، ولذا فهو يطلب العون من الآخرين، لإصلاح ما فسد من أخلاقه.
ونلاحظ أن البيت الأول، قد بدأ بكلمة (حقود) وانتهى بنفس الكلمة، معطياً بذلك دلالة مهمة، وهي أن هذا الحقد قد استشرى في نفسه، وبلغ منها كل مبلغ، حتى إنه ليفرض عليه دائرة منيعة محاطة بالحقد من كل جانب.
وفي ذلك من السخرية والتهكم بعيب نفسه ما فيه.

ثانياً: السخرية الشخصية الغيرية:

السخرية الشخصية الغيرية، هي اللون الثاني من السخرية الشخصية في الشعر المصري في القرن العشرين.
ومعناها: أن يتوجه الشاعر بسخريته - بعيداً عن نفسه وأهله - إلى بعض الشخصيات في مجتمعه ساخراً من عيوبهم، وما فسد من طبائعهم.
وهذا اللون من السخرية - غالباً - ما يكون الهدف منه هو النقد والتوجيه والإصلاح، فتكون السخرية - بذلك - هادفة ومفيدة.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

وقد يكون هدفه الدعابة والمرح، فتكون السخرية فيه مجرد السخرية فقط، أو ما يمكن أن نطلق عليه "السخرية الهزلية أو العبثية" وهذا تقسيم للسخرية باعتبار الهدف كما لا يخفي.

وحين ننظر إلى شعر السخرية المصري في القرن العشرين، يمكننا أن نقسم السخرية الشخصية الغيرية إلى قسمين:

١. السخرية من العيوب الجسدية للآخرين ومما يتصل بها:

شئٌ طبعي أن يتوجه الساخر بسخريته إلى غيره، من خلال ما يقدمه من صور ساخرة للمسخور منه، مع مراعاة أن يكون الهدف من وراء هذه السخرية هو النقد الهادف والتقويم والإصلاح، وبذلك يتخلص المجتمع من بعض الصور السلبية التي توقف تطوره وتشده بعنف إلى الوراء.

والسخرية من العيوب الخلقية أو الجسدية عند الآخرين: تكون بالمبالغة والتهويل في إبراز هذا العيب الخلقى، وتصويره بصورة تثير الضحك عند الآخرين. وقد ذكرت قبل ذلك، أن الإنسان غير مسئول عن عيبه الخلقى، فكون الإنسان موسوما بعيب أو أكثر في خلقته، ليس ذلك دليلا على تخلفه وانحطاطه عن ركب الإنسانية "فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه".

ولذا يقول حازم القرطاجني: "فأما خلقة الإنسان وصورته فليس في قدرته نقل شئ منها عما وجد عليه، فحمد الإنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة له، وذمه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه"^(١).

وعلى ذلك: فالهدف النبيل من السخرية هو الذي يجعلها مقبولة ومستساغة، أما إن لمع فيها شئٌ من التحامل والرغبة في الهدم، فهذه ليست سخرية، وإنما هي هجاء مقرع وهو ما لا يدخل في دراستنا.

١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني/ ص ١٦٩، مطبعة تونس ١٩٦٦م.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

* وتبدو السخرية الشخصية الغيرية من بعض العيوب الخلقية، كما في قول "حافظ إبراهيم" ساخرا من رجل ضخم البدن ، قصير القامة^(١):

سـويته كالكركدن (م) وجاءنا كالأخدرى
وجهه ولا وجهه الخطوب (م) وقامة لم تشبر

يسخر "حافظ إبراهيم" في هذين البيتين من بعض العيوب الخلقية التي بدت لدى شخص معين يعرفه.

فيذكر أن الله - عز وجل - قد خلقه وصوره على صورة "كركدن" وهو حيوان معروف كالفيل حجما، وخلقته كخلقة الثور إلا أنه أعظم منه، وهو ذو حافر وعلى رأسه قرن واحد.

كما يصوره الشاعر في مجيئه في صورته "الأخدرى" وهو الحمار الوحشى. وهذه صفات تتصل بحجم الجسم، وتشير إلى ضخامته التي تجاوزت كل حد، ثم ينتقل الشاعر إلى سخرية أخرى، فيصف وجهه بالدمامة والعبوس، حتى إنه ليفوق في قبحه وجه الخطوب، كما أنه قصير القامة لدرجة أنها لا تقاس بالشبر لفرط قصرها. "والعرب تمدح بالطول، وتضع بالقصر"^(٢)، كما يقول أبو العباس المبرد. وكلها أوصاف - كما نرى - تصور لنا في سخرية لاذعة قبح الخلقة ودمامة المنظر.

ويعد "قبح الشكل" من العيوب الخلقية التي كثيرا ما سخر منها الشعراء؛ لأن قبح المنظر، ودمامة الشكل من الأمور المنفرة حين يتلاقى الناس. وقد اختصت الوجوه بقدر كبير من سخرية الشعراء المصريين في القرن العشرين وتنوعت صور تناولهم لها، ووصفها بالقبح والبشاعة.

* يقول الشاعر: "إبراهيم ناجي" ساخرا من رجل قبيح المنظر^(٣):

١- الديوان/ ١٩٣٠ "مجزوء الكامل".
٢- الكامل في اللغة والأدب، ج١/٩٢، طبعة نهضة مصر ١٩٥٦ م.
٣- الأعمال الكاملة، ج١/١٩١٠ "الكامل التام".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

رجل أرى بالله أم حشره
يا فخر "دروين" ومذهبه
أرأيت قردا في الحديقة قد
فلاته أنثاه على شجره؟
عبد الحميد، اعلم فأنت كذا
ما قال "دروين" وما ذكره
يا عبقرى في شناعته
ولدتك أمك وهي معتذرة

فالشاعر "إبراهيم ناجي" يسخر في هذا النص من قبح شكل هذا الرجل، ودمامة

منظره، إذ يبدو للعين حين تنظر إليه في صورة مستقبحة منفرة.

والسخرية تبدو في عدة مواضع:

منها أن الشاعر – في بيته الأول- يتساءل سؤال سخرية وتهكم عن حقيقة ما يرى .. أرجل هو أم حشرة ؟ ! وسؤال الشاعر مبني على التشكك وعدم اليقين، وكأن الصورة التي يراها قد اختلطت عليه حقيقة ، حتى إنه لم يعد يميز حقيقة ما يراه.

وهي سخرية مؤلمة موجعة، لعب فيها التحامق دورا فعالا.

كما تكمن السخرية أيضا في الأبيات- الثاني، والثالث، والرابع- حين يصف الشاعر هذا الرجل بالقرد؛ لبشاعة منظره، وقبح خلقته.

ويعن الشاعر ويتمادى في سخريته من هذا الرجل حين يجعله دليلا عمليا مؤيدا لنظرية "داروين" التي تذكر أن أصل الإنسان قرد^(١).

ثم يأتي البيت الأخير، ليصف هذا الرجل بالعبقرية ، مميزا هذه العبقرية بأنها عبقرية في القبح والشناعة!

وتبلغ السخرية – هنا – مداها حين يذكر الشاعر أن "أم" هذا الرجل قد ولدتها وهي معتذرة عن قبح ما أنتت به !

١- وهي نظرية ثبت عدم صحتها (راجع: محاضرات في التيارات الفكرية، د. منى محمد سليم/٣١ وما بعدها، مطبعة الدار المصرية بالإسكندرية).

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

وأطراف السخرية – في هذا النص – تتعاون وتتعانق في نسيج فني مؤتلف لإثبات القبح ودمامة لهذا الإنسان .

* وتبدو خطا الشاعر "عبد الرحمن شكري" على نفس هذا الدرب، حين يسخر من دمامة وجه رجل قبيح اسمه "حسن"^(١) :

إذا وصفوا بالحسن مثلك ضلة
فما الحسن في خلق ولا في خليقة لديك
لقد كانت الدايات يسخرن حينما
فكن كمن نادى من الزنج أسودا
وما صاغك الرحمن إلا فكاهاة

فمن ذا يسمى قاتل الوجه أخرقا
وليس الحسن فيك تخلقا
وصفن بحسن أظلم الوجه أحمقا
فقال له: يا أبيض الوجه مشرقا
وماذا عليه أن يشاء وتخلقا!!

يسخر "عبد الرحمن شكري" في هذا النص من قبح ودمامة وجه هذا الإنسان الذي يقصده ، وهذا يبدو حين يجرده من كل معاني الحسن والجمال، سواء في الشكل أم في الصفات .

وفي البيت الثالث: تبلغ السخرية مداها حين يذكر الشاعر: أن "القابلة أو الداية" لما رأت ما عليه هذا الإنسان من قبح ودمامة في الشكل - عند ولادته - أسمته "حسنا" سخرية منه، كما تقول للأسود: يا أبيض، وللسقيم: يا صحيح، من باب المجاملة والتفاؤل . وما أكده الشاعر - عن طريق القصر - في بيته الأخير، من أن الله - عز وجل - ما خلق هذا الإنسان إلا فكاهاة وسخرية منه، أمر مرفوض؛ لأن فيه جرأة على الله وإقحاما للنفس في مجال البحث عن حكمة التباين الذي قد يبدو بين إنسان وإنسان آخر في شكله وصفاته، وسبحان القائل: "إنا كل شيء خلقناه بقدر"^(٢) وصدق قوله - صلى الله عليه وسلم - : "كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس"^(٣) .

* ومن ملامح السخرية الشخصية الغيرية - فيما يخص العيوب الخلقية - السخرية من "قبح الصوت" .

١- ديوان شكري/١٧٤ . "البحر الطويل" .

٢- سورة القمر، الآية: ٤٩ .

٣- انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، ج٢/١٥٩ ، حديث رقم ١٩٧٥ ، طبعة دار التراث - القاهرة "بدون تاريخ" .

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

وقبح الصوت: مدعاة إلى النفرة من صاحبه، كما أن حسنه مدعاة إلى إقبال الناس عليه، وتحببهم إليه؛ لأن النفس تأنس بما يريحها.

ولهذا رأينا كثيرا من سهام السخرية تتوجه إلى المغنين والمغنيات - أو غيرهما- إذا كان قبيح الصوت؛ لأن المفترض في المعنى والمغنية أن يطرب كل منهما الآذان ، لا أن ينفرو ويؤذى.

ولهذا فإنه "إذا اجتمع في المعنى أو المغنية قبح الصوت، وقبح الشكل، فقد جاء بالرديلتين، مما يجعله هدفا لسهام الأدباء، وسخريتهم منه" (١) .

ودور السخرية هنا: هو أنها تكون بمثابة "تنبيه إلى صاحب الصوت القبيح أن يكف عن استخدام صوته للإزعاج، وخاصة إذا كان مغرورا يظن أن له يدا في الغناء" (٢) .

*يقول "حافظ إبراهيم" ساخرا من قبح صوت صديقه الدكتور "محبوب ثابت" (٣)

يرغبي ويزيد بالقافات تحسبها قصف المدافع في أفق البساتين
من كل "قاف" كأن الله صورها من مارج النار تصوير الشياطين
قد خصه الله بالقافات يعلكها واختص سبحانه بالكاف والنون

فحافظ - في هذه الأبيات - يسخر من قبح صوت صديقه هذا من ثلاث نواح:

الأولى: أنه بين أثر هذا الصوت على سامعه، وذلك حين وصفه بالغلظة والخشونة التي تنفر السامعين، وتصرفهم عنه، وتشيع بينهم الفزع والرعب، وهذا ما أبرزته لفظة (قصف المدافع).

الثانية: أنه أشار إلى نوع هذا الصوت، وهو أنه صوت غليظ خشن، يرهق آذان سامعيه ويجهدهم، وقد أبرز البيت الثاني هذا المعنى .

الثالثة: أن الشاعر ركز - هنا - على الوصف الشكلي لهيئة "محبوب ثابت" إلى جانب الوصف الصوتي ، فوصفه وصفا ساخرا ، حين جعله يبالغ ويتكلف في نطقه

١- الفكاهة في الأدب، د. أحمد الحوفي ، ج ٦٩/١ ، بتصرف كبير .

٢- السخرية في أدب المازني، د. حامد الهوال/٥٢ .

٣- الديوان /١٨٩، ١٩٠، "البيط التام".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

لحرف "القاف" حتى إنه ليمضغه مضغاً، مع ما يصحب ذلك من انفتاح الفم، وانتفاخ الأوداج عند صدور صوت "القاف" التي تشبه الطلقة النارية، وبذلك استطاع الشاعر أن يبعث في الصورة الوصفية الحياة والحركة.

* ومنه قول "عبد الرحمن شكري" ساخراً من مغن ذي صوت ردى^(١):

سمعنا غناء ما سمعناه رغبة ولكن لأمر في الحوادث مقدور!
تغنيت حتى مادت الأرض تحتنا كأنك إسرافيل ينفخ في الصور!

يسخر (شكري) في هذين البيتين من مغن ذي صوت شديد مفرغ، ويحاول أن يبين أثر صوته من خلال رسمه لهذه الصورة الصوتية التي تتسم بالحدة، والعنف، فصوت هذا المغنى عند الغناء يجعل الأرض تميد وتختل تحت أقدام سامعيه.

وفي تشبيه صوت هذا المغنى، بصوت "إسرافيل" حين ينفخ في الصور: بيان لنوعية هذا الصوت، وهو أنه صوت مفرغ يحدث دويًا وزلزلة. وفي ذلك من السخرية اللاذعة المؤلمة ما فيه.

* كذلك سخر الشعراء المصريون في القرن العشرين: من الأشياء التي تتصل بغيرهم، فسخروا من اللحن الطويلة، وتفننوا في ذلك بدرجة كبيرة.

والسخرية من اللحن الطويلة ومن أصحابها أمر قديم، وإمام الناس في ذلك: ابن الرومي، ليس في الأدب العربي فقط، بل في الأدب الإنساني قاطبة^(٢).

ويذكر الدكتور الحوفي أن مرد السخرية من اللحن الطويلة يرجع "إلى قبج منظرها أحياناً، وإلى اتخاذها ذريعة للخداع وقضاء المآرب أحياناً أخرى، ولعل الأدباء عرفوا أن أعمال بعض الملتحين لا تتفق مع مظهرهم الذي يتظاهرون به، وأن بعضهم جهلة بالدين جهلاً مضحكاً، فحملوا عليهم، وتفكحوا بهم وبلحاهم"^(٣) دون أن يشيروا إلى شئ من هذه النقائص.

١- ديوان شكري/١٩٠٠ "البحر الطويل".

٢- راجع: اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، قطان التميمي/٦٧٠.

٣- الفكاهة في الأدب، ج ١/٦٥، بتصرف.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

* ومن ذلك قول الشاعر "مصطفى صادق الرافعي" ساخرا من لحية طويلة غريبة^(١):
يطول لحيته كالحبال فياليت عمري من طولها
كمروحة الخيش في العارضين تطرى الهواء بتبليها
وقد لقبوها بست اللحي لتعظيمها ولتجياها
ألست تراها تجر الذبول فيحظى الصغار بتقبيلها
وكم بحث الناس في أصلها وأين الوبا كان في جيلها

يسخر "الرافعي" من هذه اللحية الطويلة الغريبة، ثم يأخذ - بعد ذلك - في تفصيل ملامح القبح فيها: فهي في طولها وامتدادها كالحبال، ثم يعن الشاعر في السخرية من هذا الطول المفرط لها، فيتمنى أن يكون عمره طويلا مثلها.

ويسخر الشاعر - كذلك - من عرضها، فقد امتدت واتسعت وتربعت في العارضين حتى أصبحت تشبه مروحة الخيش التي تستعمل للتطرية، وهو من هذه الناحية يقدم لنا صورة عن عرضها المفرط.

ثم يبالغ الشاعر بعد ذلك في سخريته فيذكر أن لهذه اللحية ذيولا تجرها وراءها مما يعطى فرصة لصغار الأطفال أن يعبثوا بها ويقبلوها دون استئذان من صاحبها، وعلى ذلك فهي لحية مبتذلة، وملقاة في الطرقات.

وهذه - بلا شك سخرية لاذعة قد تجاوزت كل حد.

*ومنه - أيضا - قول الشاعر "أحمد الكاشف" ساخرا من صاحب لحية طويلة حمراء^(٢):
يا صاحب اللحية الحمراء عابثة بها الرياح لقد أشبهت شيطانا
كأننا فمك المفتوح محتبسا فيه اللسان وقد حاولت تبياننا
مأوى لأخبت ثعبان تحيط به الذ (م)يران فاستوقفته فيه حيرانا

١- الديوان، ج ١/٢٠٢، ٢٠٣، "البحر المتقارب التام".

٢- ديوان الكاشف، ١٣٩، "البسيط التام".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

يسخر الشاعر- في هذه الأبيات - من هذه اللحية الحمراء، التي لا تنفك الرياح تعبت بها، وتطيرها في أنحاء شتى، مما جعل شكلها العام غير مقبول، وجعل صاحبها - وقد غاب وجهه فيها - مشبها الشيطان !

ويمعن الشاعر في تقبيح هذه اللحية، حين يذكر أنها تشبه النيران - في شكلها الأحمر - وقد أحاطت بقم صاحبها من كل ناحية، حتى غدا فمه يشبه الجحر العميق الذي تأوى إليه الحيات والأفاعي .

ولاشك في أن هذه صورة مستقبحة لهذه اللحية، وقد اتكأ الشاعر فيها على لون هذه اللحية الأحمر الذي يشبه النيران!

* هذا، وقد راج ذلك اللون من السخرية - أيضا - في النصف الثاني من القرن العشرين، فقد وجدنا من الشعراء المصريين من يسخر من عيب خلقي أو جسدي في شخص آخر، أو يسخر مما له اتصال به كما مر بنا في النصف الأول .

فنجذ أنهم - مثلا - سخروا من "كبر الأنف" .

والواقع أن حظ الأنوف من السخرية في الشعر العربي عموما كان كبيرا، وقد حاول شعراء مصر في النصف الثاني من القرن العشرين، أن يلتقطوا هذه العيوب ويضخموها، وكانت عيوب الأنف من أقبح العيوب التي تهون من قدر صاحبها، لأن "الإنسان في المقابلة يركز على الوجه؛ لأنه مركز الجمال والهيبة، ومركز الوجه: الأنف وهذه خطورة الأنف في الهجاء، فموضع الأنف يقسم الوجه، فلوارتفع الأنف لشان الوجه، وكذلك لو انخفض أو انحرف إلى أية جهة^(١):"

* يقول الشاعر "محمود غنيم" ساخرا من ذى أنف عظيم^(٢):

لي صاحب ظله خفيف لأنفه داننت الأنوف

١- الهجاء الجاهلي، د. عباس عجلان/ ١٦٥ .
٢- الديوان/ ٥٨١ . "مجزوء البسيط".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

أنف له قمه وسفوح فيه المغارات والكهوف
وإن قامت الحرب غاب فيه من خوف غاراتها ألوف
سألته أهو صنع ربي؟ فقال: لا، بل بناه خوفو
يسخر الشاعر- في هذه الأبيات- من ضخامة هذا الأنف، ويصفه بأنه أنف غريب
في شكله وتركيبه.

وتكمن السخرية هنا: حين يصف الشاعر هذا الأنف بالجبل العظيم الحجم
المتراعى الأطراف، ذي القمة العالية، والسفح المنبسط في أسفله.
ويوغل الشاعر في السخرية من هذا الأنف حين يصفه بالاتساع، فيجعل المغارات
والكهوف تتخلله، مما يجعله مأوى صالحا لإيواء ألوف من الناس، إن هاجمهم خطر
أو داهمتهم حرب.

والشاعر- بهذا التصوير الساخر- يجعل الإنسان ينسى هذا الأنف، ويعتقد
أنه يتجول في جبل حقيقي، فيه المرتفعات والمنخفضات، والكهوف والمغارات، وهذا أوجع
في السخرية وأذع.

والبيت الأخير يحمل - أيضا - سخرية لاذعة؛ إذ إن السؤال الذي يتوجه به
الشاعر لصاحب هذا الأنف ليس سؤالاً حقيقياً، وإنما هو سؤال قصد به التهكم والسخرية
من كبر حجم هذا الأنف الذي أشبه الهرم في ضخامته!

*ويتبارى الشاعر "على الجندي" مع سابقه في السخرية من أصحاب الأنوف
الكبيرة، فيقول^(١):

ظبيان لوعاصرتيه لمشي إليك مقيدا^(٢)
ورآك دون أنوف ممن حملوا الأنوف السيدا
ما زال مارنك الأشم (م) لكل سار فرقدا^(٣)

١- ألحان الأصيل/١١٣، "مجزوء الكامل".

٢- ظبيان: رجل عرف قديماً بضخامة الأنف.

٣- المارن: مالان من الأنف وفضل عن القصبة.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

ولتحى أرنبنة تخر(م) لها الأرناب سجدا^(١)
يسخر الشاعر "على الجندي" في هذه الأبيات من هذا الأنف الضخم، ويستدعى
في سخريته شخصية "ظبيان"، الذي كان معروفا بضخامة أنفه في القدم.
والطريف في هذا الشأن أن الشاعر يزعم أن ظبيان - هذا -، لو عاصر صاحب هذا
الأنف لمشى إليه مقيدا، وأسلم إليه الريادة في هذا الجانب، وجعله السيد المقدم على كل
أصحاب الأنوف الضخمة، وهذه سخرية طريفة تتكى على الموروث الأدبي القديم.
*وكذلك سخر الشعراء المصريون في النصف الثاني من القرن العشرين، من قبح
الشكل العام لبعض الناس.*

ومما جاء من هذا القبيل: قول الشاعر "عمر عسل" ساخرا من امرأة قبيحة المنظر^(٢):
لها وجه إذا ظهرت صباحا على الدنيا به قلبت ظلاما
وأسنان كدبش قد تهاوى على قبر وقد أضحى حطاما^(٣)
لها شعر ولم يمسه ماء كأن له مع المشط اختصاما
تجوس به وحوش كاسرات تزيد برأسها عامافعاما
لها صدر من القطن المنشى وبندقتان تحت القطن ناما^(٤)
وساقاها كدبوسى عظام ولحم الفخذ لا يعدو جراما
أداعبها، تزوم بصوت جحش يصحى من فظاعته النياما^(٥)

يسخر الشاعر "عمر عسل" في هذه الأبيات من امرأة قبيحة المنظر، ويرسم لها
صورة، مستقبحة ومنفرة، فنراه يعبث بها عبث أصحاب الصور الكاريكاتورية، محاولا
طمس الجمال، وإبراز القبح ما وجد إلى ذلك سبيلا.

١- الأرنبة: طرف الأنف.
٢- ديوان قطرات الشهد/١٣٢٠ • "الوافر التام".
٣- الدبش: هو الحصى.
٤- البندقة: نوع من الثمر ذي حبات صغيرة
٥- تزوم: تصدر صوتا منكرا.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

والشاعر يتناول هذه المرأة من ناحية الشكل العام، ثم يأخذ في تفصيل الجزئيات ويركز على العيوب والنقائص بصورة تساندها المبالغة في الوصف.

ويبدأ الشاعر بالوجه، الذي هو أول ما يواجهك من مخاطبك، فيصفه بشدة القبح، ويبالغ في ذلك حتى إنه يجعل ظهوره في وقت الصباح سببا لانطماس النور في الكون وتحوله إلى ظلام حالك، وفي ذلك من المبالغة في تقبيح هذا الوجه ما فيه.

ثم ينتقل الشاعر إلى الأسنان: فيصفها بالدبش لكبر حجمها، أما الشعر: فالماء لم يمسه أبدا، مما عاد عليه بالتجدد والتداخل في بعضه بصورة معقدة، وذلك أمر يجعل المشط في خصام معه على الدوام، كما أنه يغرى بتنامي الحشرات به وتكاثرها.

ثم يسخر الشاعر من صغر صدر هذه المرأة: حين يسلبها أجمل ما في المرأة من أنوثة، وهو الصدر في فورانه وشموخه، فيزعم أن صدرها الذي يبدو للناظرين، ليس صدرا حقيقيا، وإنما هو صدر مفتعل من قطن كثير قد نامت تحته بندقتان صغيرتان.

وتمتد سخرية الشاعر - أيضا - إلى الساقين، فيشبههما بدبوسين من عظام، أما لحم الفخذ الذي هو مظنة الوفرة والكثرة فهو لا يعدو وزن الجرام وفي ذلك من المبالغة والغلو ما فيه.

ولا ينسى الشاعر أن يمد سلاح سخريته إلى صوت هذه المرأة حين يصفه بصوت الجحش في قبحه ونكارتة واستكراه سماعه.

ولا يخفي أن الشاعر - في هذا النص - قد جمع لهذه المرأة من صفات القبح ودواعي الدمامة، ما هو جدير بأن يجعلها مخلوقا مشوها في شكله وتركيبه وتضاريس جسمه.

وهي سخرية طريفة، اعتمدت على المبالغة والتزديد في الوصف.

* وسخر الشعراء - كذلك - في النصف الثاني من القرن العشرين: من خشونة الصوت وفظاعته لدى بعض الأشخاص.

ومن ذلك قول الشاعر "محمود غنيم" ساخرا من خشونة صوت صاحب له^(١):

١- الأعمال الكاملة، ج ٢٥٧/١، "الكامل التام".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

وإذا تحرك فكاهه متكلماً أحسست بركاناً عليك تفجراً
ثقلت عبارته، فأصبح صمته نغماً أرق من النسيم إذا سرى
فالشاعر - هنا - يسخر من فظاعة صوت هذا الإنسان وقبحه، وقد اعتمد
في سخريته تلك على أمور ثلاثة:

الأول: أنه لحظ شكل فك هذا الرجل عند الكلام، وما يحدث له من انفتاح
وانغلاق، وكأنه إنما يتكلم بفكه لا بلسانه.

الثاني: أنه بين الأثر المترتب على سماع كلام هذا الرجل، وهو أنه يعطى إحساساً
لمن يستمع إليه بأن بركاناً عنيفاً يتفجر من حوله، وفي ذلك من الوصف بالشدّة والعنف
ما لا يخفى.

الثالث: أبرز الشاعر أن سكوت هذا الرجل عن الكلام نغم ما بعده نغم، فصمته
يعد أكثر رقة ونعومة من النسيم إذا سرى مداعبا الوجوه، وهذه مبالغة في وصف هذا
الصوت بالقبح والفظاعة.

* وقد يسخر الشعراء من أشياء تتصل بغيرهم اتصالاً مباشراً، والسخرية مما له
اتصال مباشر بالشخص - كالسخرية من ثوبه أو مسكنه أو ممتلكاته الشخصية - تعتبر
سخرية منه شخصياً، ولذا كان لهذا اللون من السخرية أثره على نفس المسخور منه.

ومن هذا اللون قول الشاعر "على الجندي" ساخراً من ضعف وهزال بعض الخراف
التي أرسلها الشاعر "عبد الحميد فتحى مرسى" إليه ليضحى بها^(١):

أخراف هاتيك أم أنقاف؟ نبئونا عسى يزول الخلاف^(٢)
مسها الضر والهزال فراحت تنهادى كأنها أطياف!
قد رآها الجزار فانتابه الغشى (م) وخفت لحمه الأسعاف^(٣)

١- ألحان الأصيل/١٠١٠١ "الرملة التام".

٢- الأنقاف: صغار الكتاكيت.

٣- الغشى: الإغماء.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

هل سمعتم أو هل رأيتم خرافا لا لحوم بها ولا أصواف؟
قلت لما أتني إلى خروفي رب أنت المعاذمما نخاف!
ليس يرضي بها فدى "حجة الله" ويأبي قبولها "الأحناف"^(١)
وهي عند "ابن حنبل" و"ابن إدريس" لحوم تعافها الأشراف"^(٢)

يسخر الشاعر "على الجندي" في هذه الأبيات من تلك الخراف الضعيفة الهزيلة التي تنهادى في مشيتها، وهي لصغر أحجامها، وقلة لحمها لا تكاد تظهر لعين الرائي وكأنها طيف من خيال.

وقد اعتمد الشاعر في سخريته من هذه الخراف على أمور:

منها: أنه لجأ إلى أسلوب التشكك وعدم التثبيت - كما في بيته الأول - فهو لا يدرى حقيقة ما يرى، أخراف تلك التي يراها أم كتاكيت صغيرة لا تكاد تظهر للعين؟ وفي هذا الأسلوب من المبالغة في وصف هذه الخراف بالضعف والنحافة الشيء الكثير.

ومنها: أنه - في الأبيات الأربعة التالية للبيت الأول - أخذ يؤكد نفس المضمون الذي يحمله، فقد زعم أن الجزار لما رأى ما عليه هذه الخراف من ضعف وهزال، أصيب بحالة من الإغماء، وأكد المعنى حين جعل الإسعاف تسرع بحمله وكان الفاجعة مؤلة وخطيرة.

ومنها: أنه جعل هذه الخراف غير مقبولة شرعا في التضحية؛ فقد نص مالك وأبو حنيفة، وابن حنبل، والشافعي على أن تكون الأضحية غير هزيلة ولا ضعيفة، وهو ما لا يتحقق في تلك الخراف التي تشبه الكتاكيت الصغار.

وهذه السخرية تميل إلى الدعاية والمرح - كما نرى - وإن كانت في الوقت نفسه تعطى انطبعا عما يجب أن تكون عليه الهدية، ولا سيما إذا كانت أضحية.

١- حجة الله: الإمام مالك.

٢- ابن إدريس: هو الإمام الشافعي.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

٢. السخرية من العيوب الأخلاقية:

كثيرة تلك العيوب الأخلاقية التي ركز الشعراء المصريون في القرن العشرين على نقضها ومكافحتها، باعتبارها مظهرا من مظاهر النقص والانهيار الذي يهدد كيان المجتمع المصري.

ولعل من أول هذه العيوب الأخلاقية التي تهكم بها الشعراء:

*الثقل: والثقل هنا يقصد به ثقل الظل أو الروح، وهو أمر يترتب عليه عدم القبول لهذا الشخص، ورفض الناس له، وقد لا يكون بين الناس وبينه عداوة أو خصومة، ولكن ثقله يجعله مبعضا إليهم بالفطرة.

ومن ذلك قول الشاعر "مصطفى، صادق الرافعي"، ساخرا من ثقل^(١):

وثقيل ببات في نعيم وأراني منه في نقم
قال: ألقاك صباح غد يا غد عجلت بالسقم

فالشاعر يتهكم بهذا الإنسان الثقيل، ويصفه بأنه نقمة وسقم يصيب النفوس فيسلب منها السعادة والهناء.

والشاعر - كما ترى - يصف هذا الإنسان بثقل الظل، دون أن يتهجم على شرفه أو أصله، ودون أن يفحش في القول.

وقد استعمل في بيته الأول "الجناس الناقص" بين كلمتي "نعم ونقم" وهو يصور الهوة العظيمة بين الحالين، حال الشاعر وحال هذا الثقيل.

*ومنه قول الشاعر "علم، الجارم" ساخرا من ثقل أيضا^(٢):

تباليه من ثقل دما وروحا وطينه
لو كان من قوم نوح لاركبت السفينة^(٣)

١- ديوان الرافعي ج ١٠١/٢ "مجزوء المديد".

٢- المختار من شعر علي الجارم/١٢٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠١م.

٣- البيتان من بحر المجتث (مستفح لن - فاعلات) والسفينة: سفينة سيدنا نوح عليه السلام كما جاء ذكرها في القرآن الكريم.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

يسخر "الجارم" من هذا الإنسان الثقيل ويدعو عليه بالهلاك، وما ذلك إلا لأن طبيعته الثقيلة قد شملت كل شئ فيه، حتى أصبح لا يطاق، فدمه ثقيل، وروحه ثقيلة وطيبته أيضا ثقيلة.

ولعل السخرية تبدو بوضوح في البيت الثاني، الذي يفترض الشاعر فيه فرضا وهو أن هذا الرجل لو كان من قوم سيدنا نوح الذين ركبوا معه السفينة في وقت الطوفان لما ركبها الشاعر إذن! وما ذلك إلا لأنها ستغرق لا محالة من ثقل هذا الإنسان!! والرافعي يعتمد في سخريته من هذا الثقيل على الجنس، بينما اعتمد الجارم على الموروث الديني المستمد من القرآن الكريم.

* ومن ذلك قول "عبد الرحمن شكري" ساخرا من شاب ثقيل يدعى الفكاهة والظرف^(١):
ثقلت على النفوس فكنت سدا وفقت سوائل الأرواح بردا
فكل نارا ولا تطعم سواها لعلك أن تحب وأن تودا
وكلا لا تذوق جمرات نار فتشعل منك أضغانا وحقدا
وإن النار تمحو كل نتن سوى نتن عمدت إليه عمدا
ولو قول وجيع الذم مر أريق على قفاك لعاد جمدا

يسخر "شكري" من هذا الشاب الذي يدعى لنفسه خفة الروح والظرف، بينما هو ثقيل على نفوس الناس مبعض إليهم بالفطرة.

ويتمادى الشاعر في سخريته حين يطلب من هذا الشاب - إذا أراد أن يحبه الناس ويودوه- أن يأكل نارا، وألا يتناول شيئا سواها، لعل ذلك يذهب بعضا مما امتزج بروحه من برود وسماجة بتأثير حرارة النار.

ويبدو الشاعر في حيرة حين يعود فينهي هذا الشاب عن تناول شئ من النار، لأنها ربما أشعلت فيه بواعث الحقد والضغينة، والمعنى أنه سيئ على كلا الحالين!!

١- ديوان شكري / ٥٦٥، ٥٦٦ . "الوافر التام".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

ثم ينهى الشاعر كلامه بهذه السخرية اللاذعة، حين يصف هذا الشاب بأنه – نظرا لبرودة وسماجته – لو أريق على قفاه قول مؤذ مر شديد الألم، لعاد قولا جامدا ، مما لقي من برودة بهذا القفا !!

*ويقول العقاد ساخرا من ثقيل لئيم^(١):

حياتك شؤم على العالمين وموتك شؤم على الآخرة
فحش أبدا نائما، يسترح كلا ذين من نفسك الفاجرة

يسخر العقاد في هذين البيتين من إنسان ثقيل الروح لئيم الطباع . وتبدو السخرية منه، حين يجعل "العقاد" من حياة هذا الإنسان وموته شؤما، فهو في حياته شؤم على الأحياء ونقمة عليه، كما أنه في موته شؤم على الأموات ، وأذى ينزل بهم! ويتعالى صوت الشاعر بالسخرية هنا حين يأخذ في البحث عن حل لهذه المشكلة فيطلب من هذا الإنسان أن يقضي مدته في الحياة نائما، وبذلك يستريح منه الأحياء والأموات على السواء .

وهذه سخرية مرة ولاذعة، يجسدها الأمر بالنوم الوارد في البيت الثاني .

*وسخروا كذلك من المخادعين:

والخداع في الأصل: هو التلون وعدم الثبات على رأى واحد، والإنسان المخادع: هو الذي يظهر خلاف ما يبطن، ويريد لك المكروه من حيث لا تعلم . وعلى ذلك فالمخادع تشتعل بين طيات نفسه رغبة مسعورة تدفعه إلى غش الآخرين والكذب عليهم؛ جريا وراء هوى شخص ، أو منفعة عاجلة . لذا: كان المخادعون مكروهين ومبغضين إلى كل النفوس في كل المجتمعات،

ولاسيما في المجتمع المصري الذي خبر هذه الأشكال والصور على امتداد تاريخه الطويل .

*ومن ذلك ما نجده في قول الشاعر "إسماعيل صبرى باشا" ساخرا من إنسان مخادع^(٢):

١- ديوان العقاد/١١٣ ٠ "المتقارب التام" .

٢- ديوان إسماعيل صبرى باشا/٩٢ ٠ "الرمل التام" .

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

لك ألفاظ إذا احتجت إلى خير كانت شراك الخيرين
فإذا استغنيت كانت أسهما نافذات في قلوب المحسنين
لو درى رب المروءات رمى لك ما رجيت من حصن حصين
قد فضحت الطين والماء معا يا سليل الطين والماء المهين^(١)

يسخر الشاعر- في هذه الأبيات- من إنسان مخادع، وتبدو هذه السخرية حين يصفه بجمال الألفاظ وطلاوتها حين يكون محتاجا إلى غيره، حتى إنه ليتصيد بها قلوب الخيرين والمحسنين، فإذا ما انقضت حاجته، ووصل إلى مأربه، أخذ يرمى من أحسن إليه بمطاعنه، ويؤذيه بذمه.

لذا جاء البيت الثالث يحمل بين ألفاظه هذه السخرية اللاذعة المؤلة، حين يذكر الشاعر أن أصحاب الخير والإحسان لو علموا ذلك منه، لرموا له بإحسانهم وهم متحصنون في حصون منيعة؛ خوفا من وصول أذاه إليهم.

وفي ذلك من الاستخفاف به، والخط من قدره ما فيه، ولعل في التعبير بكلمة الرمي

- الواردة في البيت الثالث - ما يدل على ذلك ويؤكد.

*ويقول "العقاد" ساخرا من مخادع غاش^(٢):

أراك تصافحني ضاحكا فما بال عينيك تبدى الحذر
أتضحك لي ضحكات القلو (م) ب إذا ما علاها ضياء القمر
فلا تضحكنكم من عبوس وفي وكم من ضحوك غدر
وإنني لأسمع ضحك القلو (م) ب بين الجوانح مهما استتر^(٣)

١- سليل الطين والماء: أي المخلوق منهما.

٢- ديوان العقاد/١١٢، طبعة الأنجلو ١٩٦٧م.

٣- الأبيات من بحر المتقارب التام (عروضه صحيحة وضرب محذوف).

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

فالشاعر - هنا - يسخر من هذا المخادع الغاش، الذي يصفحه وهو باش ضاحك بينما يقرأ الشاعر في عينيه آيات من الغش والخداع، والمكر والحذر، والمخادع تفضحه حماقة عيونه، واضطراب الحركة فيها. ولله در "شكري" حين قال:

وفي كل وجه لو فطنت إشارة تدل على ما في الضمير من السر^(١)

وسخر الشعراء المصريون - أيضا - من "الجهلاء" .

وليس المقصود بالجهلاء هنا: من لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، وإنما يقصد بهم بعض الأشخاص الذين نالوا حظا من التعليم والثقافة، ولكنهم مع ذلك ما زالوا يأتون بأفعال الطغام، ويرتكبون حماقات والدنايا التي لا تليق بآدمية الإنسان الذي كرمه الله بالعلم.

والقرآن الكريم حين يتعرض لهذا الصنف من الناس يحذرنا منهم، ويأمرنا بالإعراض عنهم، كما في قوله - تعالى - : "وأعرض عن الجاهلين"^(٢):

ومن ذلك قول الشاعر "إسماعيل صبري باشا" ساخرا من جاهل سفيه^(٣):

بذرت جهلا وهجرا فاحصد أنساء حليم
روث اللسان سمساد في روض كسل كيريم

فالشاعر يسخر من جهل هذا الإنسان وفحشه وبذاءة لسانه، ويصور ما يصدر عنه من فحش في القول بالروث، وهو مخلفات الماشية العفنة.

وهذه صورة مقززة تصور هذا الجاهل يخرج من فمه روثا منتنا لا كلمات فاحشة وفي ذلك دعوة إلى التخلص من الفحش في القول، ومجانبة ما لا يليق من الألفاظ.

وانتزاع الروث من مقامه وجوه الخاص، واستعماله في مقام الفحش في القول، مما يجسد السخرية ويقويها هنا.

١- ديوان شكري/ ٢٣٦ . "والبيت من الطويل".

٢- سورة الأعراف، من الآية: ١٩٩ .

٣- الديوان/ ٩٣ . "والبيتان من المجتث: مستفح لن ، فاعلاتن".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

في البيت الثاني معنى بديع لا يمكن المرور عليه دون إشارة ؛ وهو أن الشاعر شبه سفه السفه في أنه داعية إلى زيادة حلم الحليم، وكرم الكريم، بالسماذ في الرياض، يزكوبه الزرع، وينضربه النبات... وهو معنى فريد.

*ويقول "عبد الرحمن شكري" ساخراً من معلم جاهل^(١):

لا تلوّموا الشيخ الجليل على ما كان منه في مجلس التدريس
إنما هممه التكسب بالآسى وخطف الرغيفان يوم الخميس^(٢)
عمة فوق رأسه تشبه الوردة فوق التراب الذليل الخسيس

يسخر (شكري) من هذا المعلم الجاهل الذي يخط بين مسائل العلم، ولا يجيد شيئاً سوى التحايل من أجل الحصول على لقمة العيش.

وتبدو السخرية اللاذعة في قوله "لا تلوّموا الشيخ الجليل"، فهذا الوصف لا يقصد به الإجلال والتكريم، وإنما يقصد به السخرية والتهمك، لأنه تعبير مطاوى - إن صح هذا التعبير - له مفهوم ظاهر يلحقه بالمدح، وآخر خفي يلحقه بالذم، والمقصود الثاني؛ بدليل ما بعده. كما تطل السخرية من البيت الثاني، حين يصور الشاعر هذا الشيخ في صورة إنسان شره لا يهمله شيئاً من أمر العلم والدين سوى التكسب بآيات القرآن الكريم وخطف الأرغفة من أيدي المترحمين على موتاهم في أيام الجمع والمواسم.

وفي البيت الثالث، يأتي هذا التشبيه الذي تشبه فيه عمة هذا الشيخ وهي فوق رأسه، بالوردة التي وضعت فوق كومة من التراب الذليل الخسيس!

وهذه سخرية مؤلمة ولاسيما حين قيد الشاعر المشبه به بهذا القيد، فهو يشير إلى أن هذه العمة قد وضعت في غير موضعها، إذ تتصارع تحتها قوافل من الجهل المزرى والرغبات الحقيرة الخسيسية!

وبالتأمل في هذا النص، نجد أن الشاعر قد وصف هذا الإنسان بالجهل من ثلاث نواح:

١- ديوان شكري/ ٨١ - "الخفيف التام".
٢- كلمة "الرغيفان" وردت بالديوان هكذا، وهو خطأ لغوي، والصواب أن تكون: "الرغفان".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

من ناحية علمه، ومن ناحية سلوكه ، ومن ناحية شكله ومظهره .

*وسخر الشعراء المصريون – أيضا – من "البخلاء" .

الناس منذ وجدوا على الأرض وجد فيهم الكريم والبخيل، وقد تعارف الناس فيما بينهم على أن الكرم فضيلة، كما تعارفوا على أن البخل رذيلة، لذا كان البخلاء في كل الأزمنة والأمكنة محلا للسخرية والنقد، بهدف الإصلاح وتقويم السلوك .

* ومن ذلك قول أمير الشعراء "أحمد شوقي" مداعبا صديقه الدكتور/محبوب ثابت ومتندرا ببخله^(١):

قل لابن سينا لا طبيب (م)	اليوم إلا الدرهم
هو قبل بقراط وقب (م)	لك للجراحة مرهم
والناس مذ كانوا عليه (م)	دائرون وحوم
وبسحره تلعو الأسا (م)	فل في العيون وتعظم
يا هل ترى الألفان وقد (م) ف	لا يمسس محرم!
بنك السعيد عليهم	حتى القيامة قيم

يتندر أمير الشعراء – في هذه الأبيات – ببخل صديقه الدكتور محبوب ثابت ويحاول في أول الأمر مجاراته في مذهبه في الحرص والشح، فيعلن أن الدرهم هو الطبيب الحقيقي الذي يعالج أمراض الناس، وهو مرهم لكل الجراح،

لذا فالناس – مذ كانوا- يجرون وراءه ويحومون حوله، حتى أصبح صاحب المال مقدما على غيره في كل مقام .

بعد ذلك، يعود "شوقي" فيتندر ببخل صديقه حين يذكر أنه أودع ألفي جنيه في بنك "حسن باشا سعيد" ، وجعل الاقتراب منهما أو مسهما أمرا محرما، وبذلك أصبح بنك السعيد قيما عليهما إلى يوم القيامة .

١- الشوقيات، المجلد الثاني، الجزء الثاني/٢١٨ • مجزوء الكامل" .

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

والسخرية - هنا- تتجسد من خلال هذا الجناس الواقع بين كلمتي (القيامة، وقيم) وهو عنصر تخييلي له أثره القوي في السخرية. وهي سخرية خفيفة أو قل مداعبة لطيفة، وإن كانت - في الوقت نفسه - تهدف إلى الحد من هذا المسلك وتدعو إلى التغيير نحو الأفضل.

*ويقول الشاعر "حافظ إبراهيم" ساخرا من بخيل أيضا الشوقيات، المجلد الثاني الجزء الثاني/ ٢١٨ • "مجزوء الكامل". الشوقيات، المجلد الثاني، الجزء الثاني/ ٢١٨ • "مجزوء الكامل".^(١):

ولقد عجبـت لبخـله	ولكفـه المـسـتـحـجـر
لا يـصـرف الـسـحـتـوت إلا (م)	وهـو غـير مـخـير ^(٢)
لـو أن في إـمـكـانـه	عـيشـا بـغـير تـضـور ^(٣)
لاختار سد الفتحتين (م)	وقال: يا جيب احذر ^(٤)

يسخر "شاعر النيل" من بخل هذا الإنسان، ويعجب لذلك الحرص المزري! وتبدو السخرية، حين يصفه بأنه لا ينفق السحتوت (وهو المال القليل) إلا وهو مجبر على ذلك. كما يصفه بأنه - لشدة بخله- لو كان يستطيع أن يعيش من غير طعام أو شراب دون أن يشعر بشيء من آلام الجوع والعطش، لفعل ذلك، بل لاختار سد الفتحتين اللتين يمر بهما الطعام دخولا (الفم) وخروجا (الشرج) وهذا منتهى الشح الذي يزرى بصاحبه ويجعله مبعضا إلى الآخرين من أبناء مجتمعه.

*وسخروا - كذلك - من "مخلفي الوعود".

خلف الوعود صفة مذمومة، والإنسان الذي يعتاد خلف الوعود، تهتز ثقة الناس به، لأنه بانزلاقه إلى هذه الهاوية، شان نفسه، وأصبح موضع نقد وتندر من حوله.

١- ديوان حافظ/ ١٩٤ • "مجزوء الكامل".

٢- السحتوت: الشيء القليل، واستعمل في نوع من العملة قليلة القيمة.

٣- التضور: التألم من شدة الجوع.

٤- يريد بالفتحتين: مدخل الطعام ومخرجه.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

* ومن ذلك، نجد قول الشاعر "أحمد الكاشف" متهمًا - بصديق له مخلف للوعد^(١):

يا واعدي بجزائي يوم الخميس سلاما
مضى ثلاثون يوما بعد الخميس تماما
وما وفييت بوعدي وما رعييت زماما^(٢)
إلام أدعوك عونني ولا تجيب إلاما؟
إن كان يومك شهرا وكان شهرك عاما
خالفت بالخلف عندي يا ابن الكرام-الكراما

يتهمك الشاعر- في هذه الأبيات- بصديق له اعتاد خلف الوعد، فهو إذا وعد بأمر لا يفي بما وعد، ولا يلتزم بالموعد الذي حدده للأخرين، فالأيام والشهور تمر بعد الموعد الذي ضربه لنفسه، ثم هو لا يفي بوعده، ولا يرضى ذمته.

ويبدو التهكم في البيت الثالث، حين ينفى الشاعر عن هذا الإنسان أن يكون قد وفى بوعده، أو رعى ذمته، والباء في (بوعده) لتأكيد هذا المعنى، فكأنه لا يفي بوعده ألبتة! كما يبدو التهكم في هذا الاستفهام الوارد في البيت الرابع، والذي استعمل الشاعر فيه الأداة المركبة (إلام)، والتي توحى بطول دعوة هذا الصديق للعون والمساعدة، ثم هو لا يستجيب!
* وسخر الشعراء المصريون - أيضا - من "بعض الكذابين"؛ إذ الكذب خلة مذمومة ونقيصة أخلاقية تزرى بصاحبها، وتجعله محلا للاستخفاف به والتندر عليه.

* ومن النماذج الساخرة في هذا المقام، قول الشاعر "عبد الرحمن شكري" ساخرا من رجل دائم الكذب^(٣):

لام قوم أني وصفتك بالكذب بمرارا، ومرة فيك تكفي

١- ديوان الكاشف/١٣٨٠ "بحر المجتث"
٢- وردت كلمة (زمام) في البيت بالزاي، ومعناها على ذلك: الخيط أو الحبل الذي يشد به الشيء، والصواب أن تكون بالذال (ذمام) ويكون معناها: العهد، وهو ما يتمشى مع المقام هنا.
٣- ديوان شكري/١٩٧٠م "الخفيف التام".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

ويك^(١) لو أنني وصفتك بالكذب على سبحة لقصر وصفى!

فالشاعر يسخر من هذا الرجل الذي بلغ في الكذب على غيره حدا لا يطاوله فيه إنسان آخر.

ولعل السخرية القاتلة تكمن هنا في البيت الثاني، الذي يقرر الشاعر فيه أنه لو جعل وصف هذا الرجل بالكذب ذكرا له يردده على مسبحته، لقصر في هذا الوصف، ووقع دون المراد منه.

وقد أكد الشاعر هذا المعنى عن طريق استعمال (لو) الشرطية التي تقتضي جوابا لها، وهو (لقصر وصفى)، مما يدل على بلوغ الرجل في تلك النقيصة مبلغا عظيما. *ومن المعاييب والنقائص الشخصية الغريبة التي سخر منها شعراء مصر في القرن العشرين: "النزوع إلى التصابي ممن بلغ به العمر أرذله".

والنزوع إلى التصابي سواء أكان من جانب الرجال أم من جانب النساء، يعد تصرفا شاذا تأباه القيم الفاضلة، وترفضه الأخلاق الإسلامية، ويمجه أصحاب الهمم العالية الذين لا يتمردون على واقعهم. فضلا عن ذلك، فإن العادات والتقاليد التي تربي عليها المصريون، ترفض هذا الأمر، وتعتبره خروجا على المؤلف.

* ومن ذلك قول الشاعر "على الجارم" ساخرا من شيخ متصاب^(٢):

لنا شيخ تولى أطيباه يهيم بحب ربات القود^(٣)

يغازل إذ يغازل من قيام وإن صلى يصلى من قعود

يسخر "الجارم" من هذا الشيخ الذي بلغ به العمر أرذله، ثم لا يزال قلبه في ميعة الصبا، فهو يتعثر وراء البيض الحسان – من ذوات الأذيال المتقلصة عن السيقان البضة

١- وى: اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب، والكاف حرف خطاب، والكلمة تفيد التعجب والزرع.

٢- المختار من شعر على الجارم/ ١١٣. "الوافر التام".

٣- الأظبيان: الشباب والنشاط، وقيل: القوة والشهوة، والثاني مناسب لما معنا.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

والجيوب المنحسرة عن الترائب المرمرية، والثدى والنواهد- هنا وهناك •
وتكمن السخرية اللاذعة هنا في البيت الثاني، فهذا الشيخ الفاني حين تهزه
دواعي الطرب إلى مغازلة النساء، يغازلهن وهو واقف؛ محاولا - بذلك - أن يثبت لهن
أو لنفسه أنه ما زال قادرا على العطاء، بينما نراه يؤدي فرض الصلاة قاعدا لعجزه
عن الأداء واقفا!

والمعنى: أنه عندما يخلوا إلى نفسه، يعترف بضعفه، وعدم قدرته على شيء، لكنه
عندما يخرج إلى الشوارع، تثور فيه غريزة حب الانتقام لنفسه من زمن بخل عليه بالمتع!
وهي سخرية مؤلمة!!

*ومن ذلك أيضا قول الشاعر "هاشم الرفاعي" ساخرا من متصاب بعد الشيخوخة^(١) .
لا بالمام ولا بالنصح تنتفع متى أراك عن التهليس تمتنع؟^(٢)
رأيت نقتك مثل الصوف شايبة ولست عن سيرك البطل تنقطع^(٣)
قضيت خمسين عاما كلها قرف حتى كبرت وعاد الضرس ينخلع^(٤)
عار عليك إذا أصبحت منحنيا وفيك كل صنوف الهلس والبدع
وقد بدا - رغم "مكياج" تزاوله في رأسك الأبيضان: الشيب والصلع

يسخر "هاشم الرفاعي" من هذا الشيخ المسن الذي طوعت له نفسه أن يركب
أجنحة الهوى، ويندفع إلى صنوف البدع والباطل يعب منها عباء، دون أن يرعى حقالسن
أو يقيم حرمة لفضيلة.

وتبدو السخرية في هذا الاستفهام التوبيخي التقريعي الذي يحمله البيت الأول
وكأن هذا الرجل لما لم ينتفع بلوم ولا بنصيحة، استحق التوبيخ والتقريع الذي يعلن عن

١- ديوان هاشم الرفاعي- الأعمال الكاملة/٤٥٧ • "البسيط التام".
٢- التهليس: هو السير المعوج الذي يتعثر في مشبهه، والمهلس: هو الذي لا يرى أثر الفضيحة عليه.
٣- السير البطل: هو السير في الباطل، من قولهم: رجل بطل، أي: ذو باطل (اللسان، ج ١/٥٦).
٤- القرف: ملابسة الداء، ومدانة المرض والتلف والهلاك، والرجل المقرف: هو الندل • (اللسان، ج ١/٢٨١).

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

فساد موقفه، وضعف جانبه، وتقديم اللوم على النصيحة في البيت غير دقيق؛ لأن اللوم أعنف من النصح، والأولى تقديم اللين على العنف لا العكس.

كما تبدو السخرية في البيت الأخير، حين يصور الشاعر هذا الشيخ في صورة من يحاول جاهدا أن يكتم شيبه، ويعالج مظاهر الضعف في نفسه، مع فساد المحاولة، وعدم جدوى التخفي والتستر!!

وهي سخرية مؤلمة وموجعة؛ لأنها تكشف المستور، وتعلن عن المكتوم. والسخرية هنا تدل - في وضوح - على رفض المجتمع لهذا الأمر؛ باعتباره لونا من النشاز أو الشذوذ الذي يصيب بعض أفراده. *وسخروا - كذلك - من "الخذلقة".

والخذلقة: هي التظاهر بالظرف، والمتحذلق: هو من يدعى أكثر مما عنده من الحذق، أو يتظاهر بالكياسة.

وكثيرا ما نجد بعض الناس يحاول أن يتحذلق ويتكلف، سواء أكان ذلك في كلامه أم في شكله ومظهره، أم في معرفته بالأشياء، ويحاول جاهدا أن يظهر لغيره أنه يعرف أكثر مما يعرفون.

"وإيا ما كانت الخذلقة فهي تمثل نوعا من الأنواع المضحكة؛ لأنها قائمة على عيب أو مرض نفسي يضيق الناس به، ويريدون علاجه"^(١).

ومما يمثل به في هذا المقام: قول الشاعر "عبد الرحمن شكري" ساخرا من أديب متحذلق^(٢):

يبببت طووال الليل يقدح رأيه كما قدح المقرور صخر زناد^(٣)
يعالج في نسج القريض قسيده كأن له فيها أشد جلا^(٤)

١- الفكاهة في الأدب، د. أحمد الحوفي، ج ١/٢٥٠.

٢- ديوان شكري/١٩٦٠، "البحر الطويل".

٣- المقرور: هو من أصابه البرد.

٤- الجلا: الصبر على المكروه والشدة.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

فيأتي بها كالبركر قد طال حبسها تحدث فينا عن ثمود وعاد
يقلب فوق الفرش جنباً كأنما يحك به في الفرش شوك قتاد^(١)
ويزجر كالحبلى إذا آن وضعها ولكنّه زحربغير ولاد^(٢)

يسخر (شكري) في هذا النص من أديب متحذلق متكلف، يرهق نفسه ويحملها من العنت فوق طاقتها، وذلك عند نظم قصائده، فتراه يبببت ليله متقلبا عى فراش الفكر والأرق، وتصدر منه كثير من الآهات والتوجعات، وكأن شوكا مؤذيا يتراشق في جنبه أو كأنه امرأة حبلى تنن وتتألم عند وضعها.

وتكمن السخرية هنا: في تصوير مقدار الجهد والإرهاق الذي يتكلفه هذا الأديب في عمله ، وكأنه مجاهد يخوض حربا لا هواده فيها، ثم تأتي النتيجة السيئة وغير المرتقبة بعد ذلك، وهي أن عمله يجئ غريب الوجه واليد واللسان، وكأنه يحدث به عن قوم ثمود أو قوم عاد.

والمقصود: أن عمله لا يعبر عن الواقع الذي يعيشه ، وإنما هو في واد والناس في واد آخر.

كما تبدو السخرية – في البيت الأخير – حين يشبّه الشاعر بالمرأة الحبلى التي تنن وتتوجع عند قرب الوضع، ولكن أديبنا هذا ينن ويتوجع دون أن يلد أدبا ذا قيمة، فهو إذن يحدث أنينا وفرقعة فارغة في الهواء، ويصدر جعجة ولا نرى لها طحنا !!

وهذه سخرية لاذعة، تهدف إلى طرح الحذقة والتكلف؛ إذ لا خير فيهما.

* هذا، عن السخرية الشخصية الغريبة من بعض العيوب الأخلاقية في النصف

الأول من القرن العشرين..

١- القتاد: نبات صلب له شوك مؤذ، ويضرب به المثل للشئ ينال بعد تعب ومشقة.
٢- يزجر من زجر، والزحير، والزحار، والزحارة: إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة. ويقال للمرأة إذا ولدت ولدا: زحرت به (اللسان، ج ٣١٩/٤).

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

أما في النصف الثاني منه، فقد تضافرت فيه أيضا جهود الشعراء على ذم نفس هذه النقائص، والسخرية من أصحابها، مع تغييرات طفيفة، وزيادات يسيرة أدت إليها تطورات الحياة الجديدة.

فزاهم يسخرون من بعض العيوب والنقائص الأخلاقية التي نفضت لدى بعض الشخصيات في المجتمع المصري.

* فقد سخروا من "الثقلاء" كما سخر منهم أديب النصف الأول، وإن غلب على السخرية منهم في النصف الثاني جانب التفصيل والإطالة والإمعان في تعداد المعايب والنقائص.

*ومن ذلك قول الشاعر "على الجندي" ساخرا من ثقيل^(١):

ثقل على أرواحنا ثقل الحجر نلقبه من شؤمه زحل البشر^(٢)
تغيب بشاشات المنى بحضوره وتهجر أحزان النفوس إذا هجر
كأن تلوج القطب حشو ثيابه فإن هو وافى كاد يقتلنا الخصر^(٣)
ترى الصحب منه مشفقين كأنما تساورهم من قربه الحية الذكر
فإن لمحوه من بعيد تغامزوا ولاذوا سراعا بالأخايد والحفر
وأبشع من ضحك القروء حديثه وأقبح من فقر ألم على الكبير
يمن على جلاسه بجلوسه وأمتع منه أن تجالسك البقر
أعوذ بوجه الله من وجهه ضفدع نطالع في أسراره صفحة الكدر
إذا حل في روض بكى الطير شجوه وناح به الينبوع، وانتحب الزهر
وإن لحظت ألاحظه قمر الدجى فما عجب إن قيل: قد خسف القمر

١- ألحان الأصيل/٣١٦ • "بحر الطويل".

٢- زحل: كوكب ينسب إلى النحس •

٣- الخصر: البرد.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

ولوراح يوماً حاملاً بعض ظله لخر صريعاً لليدين على الأثر
يحاذر "عزرييل" من البرد مسه فمن أجل هذا قد تراخي به العمر
فيارب، لا تدخل جنانك مثله فيهرب منه الصالحون إلى سقر

يسخر "الجندي" في هذه القصيدة من هذا الثقل، ويحاول أن يستقصى كل صفات القبح والبشاعة فيه.

وتبدو السخرية هنا ذات تفصيلات عديدة، ففي الأبيات الثلاثة الأولى يصور الشاعر ثقل هذا الإنسان على نفوس وأرواح من حوله، بالحجر، وقد جاء ذلك عن طريق التشبيه المنزوع الأداة والوجه؛ مبالغة في تصوير هذا الثقل، وقد بدأ الشاعر كلامه بكلمة (ثقل) من باب الإسراع إلى المطلوب، وهو الذم.

وتلقب هذا الإنسان بـ"زحل البشر" فيه سخرية لاذعة؛ لأن "كوكب زحل" هذا منسوب إلى النحس والتشاؤم، وقد أكد الشاعر هذه السخرية حين جعل البشاشات تغيب عند حضوره، وحين جعل أحزان النفوس تتوارى وتهرب إذا هو هجر المكان.

كما تبدو السخرية اللاذعة في البيت الثالث، حين يشبه الشاعر تلوج القطب الشمالي بهذا الثقل، وهو تشبيه مقلوب كما نعرف، وهو يشير إلى أن المشبه (وهو هذا الإنسان الثقيل البارد) قد بلغ من الثقل والبرود حداً عظيماً يصح معه أن تتحقق فيه صفة البرود أكثر مما تتحقق في القطب الشمالي الذي يبلغ القمة في هذا الشأن.

ولاشك في أن الشاعر يبالغ في هذا الوصف مبالغة كبيرة، ولذا جاء بلفظة (كاد) في النصف الثاني من نفس البيت؛ لتخفف من وطأة هذه المبالغة.

*وفي البيتين الرابع والخامس: يصور الشاعر موقف أصحاب هذا الثقل منه، وهو موقف ينم عن الخوف والاضطراب، ومحاولة الهروب منه.

وفي ذلك تصوير له بصورة مقززة، وهي صورة حية مؤذية تطارد أشخاصاً وتنقض عليهم، مما يجعلهم يلوذون بالهرب في الأخاديد والحفر طالبين النجاة والسلامة منها.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

وهي - بحق - سخرية قاتلة من هذا الثقيل ، تبرز مدى التحفظ منه، ومجانبته
وكأنه وباء مدمر يحذره الناس •

*وفي البيت السابع: يسخر الشاعر من بلادة إحساس هذا الإنسان الثقيل، الذي
يجلس إلى الآخرين ، ويطيل الحديث معهم، وهم كارهون له، ثم يعود فيمن عليهم بجلوسه
معهم، وكأنه يتفضل عليهم بذلك •

وتبدو السخرية- في الشطر الثاني من البيت- حين يذكر الشاعر أن مجالسة
البقر- رغم عجمتها أمتع من مجالسة هذا الثقيل •

وهي سخرية مؤلمة وموجعة، كما أن فيها شيئاً من الخروج على آدمية الإنسان
الذي كرمه الله!

*ونجد في البيتين السادس والثامن وصفا ساخرا لصوت ومنظر هذا الثقيل:

أما الصوت: فهو صراخ فوضوى متداخل، وبه بشاعة تفوق بشاعة أصوات القرود
حين تتضاحك •

وأما بالنسبة للسخرية من المنظر: فنجد الشاعر يسخر من قبح منظره، ودمامة
شكله بصورة منفرة ، وذلك حين يشبّهه بالضفدع، والضفدع -كما نعلم - ذو منظر بشع
ومخيف ، كما أن النفوس تنفر منه عادة وطبعاً •

*وفي البيتين التاسع والعاشر: يحاول الشاعر- على سبيل التهكم - أن يعدى شؤم
هذا الإنسان الثقيل وضرره إلى مظاهر الطبيعة نفسها، فيصفه بأنه إذا نزل في روض، بكى
الطير، وناحت الينابيع، وانتحب الزهر، كما أن نظر هذا الإنسان إلى القمر يسبب
له الخسوف وتلك مبالغة غير مقبولة، لذا أراد الشاعر أن يخفف منها عن طريق "إن" حين
قال: "فما عجب إن قبل قد خسف القمر" •

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

*وفي البيت الحادي عشر: نجد السخرية اللاذعة – أيضا – من ثقل هذا الإنسان وذلك حين يذكر الشاعر أن هذا الإنسان الثقيل لو قدر لظله أن يقع عليه مرة لغاص به في الأرض بسبب ثقله.

وفي ذلك من السخرية والتندر على هذا الثقيل ما فيه.

*وفي البيت الثاني عشر: يسخر الشاعر من هذا الثقيل – أيضا- سخرية مرة وذلك حين يجعل العلة في طول عمره: أن ملك الموت يحاذر من الاقتراب منه أو مسه؛ خوفا مما به برد قاتل، وهي علة طريفة وإن كانت غير حقيقية، وهو ما يسمى بحسن التعليل .
ولعل مما يقوى هذه العلة: ما عرف عن الثقلاء من طول العمر، لعدم إحساسهم بالآلام .
*وفي البيت الأخير، نجد هذه السخرية الفجة، حين يطلب الشاعر من الله ألا يدخل هذا الإنسان الثقيل جنته؛ لأنه إن دخلها، سوف يهرب منها الصالحون مفضلين اللجوء إلى النار على الإقامة معه في موضع واحد.

وهي سخرية تعبر عن البغض الشديد لهذا النوع من الناس، والنفرة منهم، وعدم مخالطتهم، وإن كان فيها قدر كبير من المبالغة غير المقبولة، فالله – تعالى – يقول: "ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين . لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين" (١).

ولعلك تلحظ ما في هذا النص من تفصيل وتدقيق وتعداد للمعانيب والنقائص بصورة تتحقق فيها قوة السخرية وعمقها، وهو ما أشار إليه البحث آنفا، من أن هذه سمة لوحظت عند شعراء مصر في النصف الثاني من القرن العشرين .
وقد أتاح هذا التفصيل فرصة للشعراء لنظم قصائد كاملة ومستقلة في السخرية وهي قصائد تتحقق فيها الوحدة الموضوعية (٢).

١- سورة الحجر، الآيتان: ٤٧، ٤٨ .

٢- ينظر الأعمال الكاملة لهاشم الرفاعي/٤٥٧، والأعمال الكاملة لمحمود غنيم، ج١/٩٠، ٩١، ٢٥٧ .

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

*ويقول الشاعر "محمود غنيم" ساخرا من صاحب ثقليل الظل، وذلك من قصيدة له

بعنوان "صاحب ثقليل"^(١):

لي صاحب واف يزور مبكرا
مازلت أمتدح الوفاء وأهله
ويبش في وجهي فأهمس قائلًا
حاولت يوماً صرفه بتأؤبي
فهمتفت: جد لي بالجلاء، فقال لي:
ساءلت عن دمه، فقالوا: زئبق
لو صب منه قطرة في جدول
وإذا أحس الجور قعة وجهه
وتطول زورته سنين وأشهرها
حتى وفي فرجوته أن يغدرا
سبحان من خلق الجبال وصورا^(٢)
فرأيته فرق الأريك مسمرا^(٣)
حتى تجود لنا به (إنجلترا)
في كل عرق من نحاس قد جرى^(٤)
لتجمد الأذى بل لتحجرا^(٥)
صيفاً، تلبد بالغيوم وأمطرا

في هذا النص يسخر الشاعر "محمود غنيم" من صاحب ثقليل الروح، ويحاول أن يكشف عما به من معائب وسلبيات، وهي - في مجملها- أمور تجعل هذا الإنسان جديراً بتلك السخرية.

وتبدو سخرية الشاعر منه حين يصفه في مطلع البيت الأول (بالوفاء) في موضع لا يستحسن ولا يستحب فيه الوفاء، فزيارة هذا الصديق غير مرغوب فيها لأسباب: أنه يكررها دون ملل، ويكرها منذ الصباح، ويطلق فيها بصورة منفرة.

وقد عبر الشاعر عن وفائه بالزيارة باسم الفاعل (واف) الذي يفيد الثبوت والاستمرار، كما عبر عن الزيارة نفسها بالفعل المضارع (يزور) وعن الطول فيها بالفعل

١- الأعمال الكاملة، ج ٢٥٧/١، ص ٢٥٧، "الكامل التام".

٢- بش، يبش، بشاشة: كان طلق الوجه.

٣- الأريك: مقعد منجد.

٤- الزئبق: عنصر سائل في درجة الحرارة العادية.

٥- الأذى: هو الموج الشديد، والجمع: أواذى.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

المضارع (تطول) ، ومعلوم أن المضارع يفيد التجدد والحدوث وهو ما يريد الشاعر أن يسخر منه هنا .

وفي تعبير الشاعر عن طول وقت الزيارة "بالأشهر والسنين" مبالغة مقبولة، فيها كثير من السخرية اللاذعة من هذا الثقيل .

واعتقد أن تعبير الشاعر بكلمة (أشهر) بوزن (أفعل) وهو جمع قلة هنا غير دقيق؛ لأن المقام مقام مبالغة في وصف طول الزيارة ، فالأنسب أن يعبر عن ذلك بجمع الكثرة (شهور)، ولعل مما يؤيدني في ذلك ذكره لكلمة السنين .

كما تبدو سخرية الشاعر، حين يصف هذا الثقيل – في بيته الثالث- بأنه عندما يبش أو يضحك يتغير شكله إلى القبح، وتظهر في وجهه مرتفعات ومنخفضات، كما يبدو منظر فمه المفتوح مخيفا ومروعا، فأنت لا تقف أمام إنسان، ولكنك تقف أمام جبل وعر المسالك، مخيف القسمات!

وهذه سخرية لاذعة من قبح شكل هذا الإنسان، ودمامة منظره .

*وتبدو السخرية – كذلك – حين يصف الشاعر هذا الثقيل- في البيتين الأخيرين- بالبرود القاتل .

فهذا الإنسان الثقيل- نظرا لبروده – لو وقعت قطرة من عرقه في جدول ماء لتجمد الماء فيه، بل لتحجر تماما .

ونلاحظ – هنا – لونا من الترقى في أسلوب السخرية، حيث إن الشاعر لا يكفيه مجرد تجمد الماء، فيرتقي إلى درجة التحجر، وهو أقوى من التجمد .

ثم يضيف الشاعر: أن الجو لو أبصر جلدة وجه هذا الإنسان الثقيل في أيام الصيف، لاختل ناموس الكون . فتغيب الشمس، وتتكاثر الغيوم، وينزل المطر وقد جاءت كلمة (صيفا) هنا إيغالا في السخرية، وإمعانا فيها، إذ إن حدوث ذلك في الصيف يكون

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

أكثر غرابة منه لو حدث في الشتاء، كما أن كلمة (وأمطر) تفيد الترقى في مقام السخرية وبلوغها الغاية.

ولاشك في أن هذه مبالغة مقبولة من الشاعر في سخريته من هذا الثقيل، وقد حاول الشاعر جاهداً أن يتخفف من حدة المبالغة فيها، فلجأ إلى استخدام (لو) و(إذا) الشرطيتين.

*ومن السخرية من "الكذب" قول الشاعر "عبد اللطيف النشار" ساخراً من كاذب يدعى "أحمد عوض"^(١):

صـدقـه غـيـر مـفـتـرض	ذـلـك الأحمـد العـوض
مخـلـف دـون مـوعـد	كـاذب دـونـمـا غـرض
يـكـره الـصـدق حـسـبة	إن رأى صـادقاً ركـض

يتهمك الشاعر – في هذه الأبيات – من كذب هذا الإنسان؛ إذ الكذب نقيصة أخلاقية، ورذيلة اجتماعية تزرى بصاحبها، وتحط من قدره بين الناس.

وتبدو السخرية – هنا – حين يجعل الشاعر "الكذب" أصلاً في طبيعة هذا الإنسان، ولذا كان وقوع الصدق منه غير مفترض، وهذا منتهى التهكم والهزاء به.

ولما كان هذا الإنسان، قد اعتاد الكذب، وامتزجت نفسه به، فقد رأيناه يخلف دون موعد، ويكذب دون غرض أو هدف!

ثم يسخر منه الشاعر سخرية قاسية في بيته الأخير، حين يجعله يكره الصدق احتساباً لله، وقد دفعه ذلك إلى الفرار خوفاً من رؤية أي إنسان صادق.

ولاشك في أن هذه الأوصاف فيها كثير من المبالغة والتهجم على هذا الإنسان، الذي أراد الشاعر – فقط أن يسخر من ممارسته لرذيلة الكذب.

١- الأذى: هو الموج الشديد، والجمع : أواذى.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

ومع ذلك، فهذه المبالغات غير معيبة؛ لأنها تعطي مجالاً واسعاً للفكر والخيال

والذهاب فيهما كل مذهب، والسخرية في أصلهما ضرب من التصوير والخيال.

*ومن ذلك قول الشاعر "عبد المنعم عواد" ساخراً من إنسان دعى متسلق كذاب، وذلك من قصيدته "صرخة في وجه دعي" (١) :

أقصر، عرفتك ، لا تزيد	هذا زمان الأدياء
الحب فيه مزاعم	معسولة لفظ خواء
دنيا من الزيف الجميد (م) مل	تصوغها محض ادعاء
دنيا من الألفاظ تلك (م) مع	في ظواهرها السرواء
أنا قد عرفتك قد هتك (م) بت	الستر فانكشف الغطاء
عريت روحك كلهها	مزقت ذياك الرداء
فبدوت قزما تافهها	لا، لا تطاول لا اجترأ
دنيا الأكاذيب التي	شيدتها دنيا الدهاء
سقطت كأوراق الخرب (م) ف	تنتشرت عبر الفضاء
ووقفت وحدهك عاريا	كالسخ في هذا العراء

يسخر الشاعر من إنسان متسلق كذاب، يملأ الدنيا ضجيجا وصياحا فارغا ويبني

لنفسه صروحا من الأوهام والأكاذيب الخادعة، ثم لا يلبث أن ينكشف أمره، وتظهر حقيقة المهينة أمام الناس.

وتبدو سخرية الشاعر منه هنا: حين يصوره - بعد زوال دنياه الزائفة- بصورة قزم

تافه ذليل، يقف وحده في الميدان عاريا يتجرع آلام الكذب والإدعاء.

١- الأعمال الكاملة، ج ١/٥٥٠، ٥٥١ "مجزوء الكامل".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

وهي سخرية مؤلمة من هذا الكذاب، وقد استطاعت أن تصور- في براعة- نهاية الكذابين ؛ تحذيرا وتخويفا، وبلاغاً للناس .

*وسخر الشعراء المصريون في النصف الثاني من القرن العشرين - أيضا - من "البخلاء" كما سخر منهم شعراء النصف الأول؛ ومن ذلك قول الشاعر "محمود غنيم" مداعبا صديقا بخيلا يدعى "عزيز"^(١) :

عزيز ليس بالرجل العزيز بخيل بخله بخل غريزي
لديه قهوة من غير بن يطيها بملح إنجليزي

فالشاعر يداعب صديقه هذا، ويصفه بالبخل، ويصف هذا البخل بأنه بخل مركوز في طبيعته البشرية، فلا يكاد ينفك عنه .

ويبدو المرح في هذه المداعبة حين يصف الشاعر قهوة صديقه هذا، بأنها من غير بن، كناية عن بخله حتى يبعض البن الذي يقدم للضيافة وهو أو هن الواجبات، وبمعن الشاعر في المرح والدعابة أكثر، فيجعل هذا البخيل يحلى قهوة ضيوفه بالملح لا بالسكر! وهذه مداعبة لطيفة، توجه ولا تخدش، وترشد ولا تعنف .

*ومن الأخلاق المذمومة التي سخر منها الشعراء المصريون في النصف الثاني من القرن العشرين لدى بعض الشخصيات في المجتمع المصري: "الغرور" والغرور كما يقول الدكتور أحمد الحوفي "مرض نفسي يدفع المصاب به إلى أن يعطي نفسه أكثر من حقها ضعفا أو أضعافا، وقد ينسب إلى نفسه ما ليس فيها من مزايا، ويزعم أنه أقدر الناس وأذكاهم ، وأبعدهم نظرا، وأشداهم رأيا، وأجدرهم بالرياسة والزعامة، أو بالتجلة والإكرام والناس يرونه في غروره كاذبا، لأنهم يعرفون قدره ومكانته، ويرونه متجاوزا حده، معتديا على غيره؛ لأنه يزعم لنفسه ما ليس له، ويسلب الناس ما هم جديرون به"^(٢) .

١- الأعمال الكاملة/٥٨١ . "الوافر التام" .

٢- الفكاهة في الأدب، ج ٩٦/١ .

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

لأجل ذلك، وجدنا سهام النقد والسخرية مصوبة إلى كل من اتصف بهذه الرذيلة الأخلاقية، ليس ذلك في الشعرى المصري في القرن العشرين فحسب، بل في الأدب الإنساني بعامه. *ومن شواهد ذلك؛ قول الشاعر "العوضي الوكيل" ساخرا من إنسان مغرور، وذلك في نتفة^(١) له بعنوان: "الإنسان المغرور"^(٢) :

أنت عال ككومة من تراب وكبير كقطعة من ضباب
فإذا الشمس أشرقت ذبت فيها قطرات تضيع بين التراب
وإذا الريح أقبلت لم نجد منك سوى حفنة على الأعتاب

فالشاعر- هنا - يسخر من هذا الإنسان المغرور سخرية لاذعة، وتبدو هذه السخرية حين يشبّهه الشاعر في علوه بكومة من تراب، كما يشبّهه في كبر حجمه بقطعة من الضباب، ثم يعن الشاعر في سخريته، فيرجع إلى كل تشبيه من هذين التشبيهين وصفا ينقضه ويهدمه، ويتنزع منه المزية.

فهذا المغرور- في علوه - ككومة التراب العظيمة، لكن الريح إذا هبت عليها لم تبقى منها سوى حفنة حقيرة مهددة على الأعتاب.

وهو في كبر حجمه - أيضا - كقطعة من ضباب، لكن الشمس إذا أشرقت عليها أذابتها وضيعتها بددا بين طيات التراب

وقد أعان الشاعر على ذلك: استخدامه لفن من فنون الإجمال والتفصيل، وهو ما يعرف في البلاغة باللف والنشر غير المرتب أو المشوش، وذلك لمجئ النشر فيه على غير ترتيب اللف^(٣)، والسخرية - هنا- تشير إلى أن ما ينسبه هذا المغرور إلى نفسه افتراء لا يصمد أمام الحقائق، بل سرعان ما يتهاوى وينتهي أمره.

١- النتفة: هي أن ينظم الشاعر بيتين أو ثلاثة في موضوع ما (راجع: العروض القديم، د. محمود على السمان/١٨٦، طبعة دار المعارف سنة ١٩٨٤م).
٢- ديوان شفق/١١٩ • "الخفيف التام".
٣- راجع: دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات محمد أبو ستيت/٢٢٤، الطبعة الأولى، دار خفاجي للطباعة والنشر- كفر شبين قليوبية ١٩٩٤م.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

*وسخر الشعراء المصريون في النصف الثاني من القرن العشرين - أيضا- من

"الخيانة" باعتبارها عيبا شخصيا متفشيا لدى بعض الأشخاص الذين يعيشون في المجتمع.

والخيانة من العيوب الهدامة للمجتمع، والتي تتسبب في إلحاق كثير من الأذى

والضرر بأفراده، لذا "وقفت منها القوانين موقفا صارما، واتخذت الاحتياطات الواجبة

لمقاومتها، ومنع وقوعها، وشرعت لها ألوانا من العقاب مجزئة ورادة"^(١).

وكذا كان موقف الشعراء المصريين في النصف الثاني من القرن العشرين من

الخيانة؛ إذ وقفوا لها بالمرصاد، وتعقبوا المتصفين بها بالنقد والسخرية.

* ومن ذلك قول الشاعر "كمال نشأت" ساخرا من خيانة صديق له^(٢):

- من زارني ..
- هل كنت أنت ؟
- إني رأيتك في البطاقة
- أحرفا شوهاء .. موتى
- عبرت بي الصدمات
- أفدحها الخيانة من صديق!!
- يا خائنا خبز الأخوة
- مسرفا بترا وبتا
- اغتلت حتى الذكريات
- عزيزة!
- يا قاتلي ..
- هل جئت ثانية لتذبحنى ..

١- السخرية في أدب المازني، د. حامد الهوال/٥٣ .
٢- الأعمال الشعرية الكاملة، ج ١٣١/١، ١٣٢ . "بحر الكامل".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

□ وقد أشبعت موتا

□ إني على ألي عفوت!!

□ وأنت قد أتخمت مقتنا !!

يسخر الشاعر (كمال نشأت) في هذه القصيدة من خيانة صديقه هذا لعهود المودة والإخاء، وإسرافه في تقطيع أواصر الصداقة التي تربط بينهما، وعمله على اقتلاع جذورها. وتبدو مظاهر هذه السخرية: حين يذكر الشاعر أن الحياة قد أرهقت ظهره بمتاعها وويلاتها، وصدمة بكثير من الفواجع والنوازل، لكنها كانت هينة عليه إذا ما قورنت بالجرح الذي أحدثته خيانة هذا الصديق، إذ كانت خيانتته هي الجرح الفادح الذي قضم الظهر، وأطفاً بهجة القلب.

وقد عبر الشاعر عن ذلك في السطرين الشعريين الخامس والسادس.

كما تبدو السخرية في السطر الشعري التاسع ، حين يصف الشاعر هذا الصديق بأن إسرافه في التنكر والخيانة قد تخطى الواقع المشهود، ورجع إلى الذكريات القديمة يغتالها واحدة بعد الأخرى.

وهي سخرية فجأة من الجفاء بعد الوفاء، ومن الخيانة التي تلوث الماضي والحاضر. كما تبدو السخرية المرة في السطر الشعري الأخير، حين يصف الشاعر هذا الصديق الخائن بأنه قد أصيب بالتخمة.. ثم يميز الشاعر هذه التخمة بأنها ليست تخمة ناتجة عن الإفراط في الطعام والشراب، ولكنها تخمة ناتجة عن المقت والكراهية التي لحقته بسبب خيانتته.

والتخمة المسببة عن المقت والكراهية تعبير لطيف، فيه شئ من الجدة والطرافة. *وسخر الشعراء المصريون في النصف الثاني من القرن العشرين - كذلك- من "المكر والخديعة" لدى بعض شخصيات المجتمع.

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

ومن ذلك قول الشاعر "كمال نشأت" ساخرا من صحفي ماكر خداع^(١):

- وعجيب أن يكون الحال في هذا الوري:
- بعضهم مثل الندى بعضهم كالمحبرة!!^(٢)
- لا يرون الشمس فالأعين تدنوللثرى!!^(٣):
- حقدهم يملأ حتى الأوجه المعتكرة!!^(٤):
- تلونت مصفرة خارجة من مقبره!!
- الذئب منهم مسهب قول الصحاب البره!
- تأكل حقدا نفسه نيرانه المستعره!
- يلقاك وجها ضاحكا والخبث فيه قد سرى!!
- حتى إذا استدرت أخفى في الحنايا خنجره!!
- شأن الوضع اهتبل الفرصة جينا وانبرى!^(٥):
- مركب النقص الذي أتعبه وخدره!!
- أسود القلب عريق في النوايا القذره!!
- فعاش يبغض الوري.. ونفسه.. وقدره!

يسخر الشاعر- في هذه القصيدة - من المكر والخديعة التي يتصف بها هذا الصحفي المتلون، والشاعر لم يتوجه إليه بالسخرية مباشرة، وإنما بدأ يتكلم عن الوري بوجه عام، ذاكرا ما هم عليه من سواد القلوب، وأحقاد النفوس، ثم تسلل الشاعر من خلال هذه المقدمة الملائمة إلى فريسته ساخرا منها سخرية لاذعة.

١- الأعمال الشعرية، ج ١٤٦/١ وما بعدها، "الرمل الحر".
٢- الأعمال الشعرية الكاملة، ج ١٣١/١، ١٣٢، "بحر الكامل".
٣- الأعمال الشعرية، ج ١٤٦/١ وما بعدها، "الرمل الحر".
٤- الأعمال الشعرية، ج ١٤٦/١ وما بعدها، "الرمل الحر".
٥- الأعمال الشعرية، ج ١٤٦/١ وما بعدها، "الرمل الحر".

السخرية في الشعر المعاصر في القرن العشرين

وتبدو هذه السخرية: حين يصف الشاعر – هذا الصحفي – في السطر الشعري السادس – بأنه ذئب، يظهر للناس الوداد والمؤانسة، وهو مطوى على الغدر والخديعة • ولفظة (الذئب) التي عبر بها الشاعر تعكس كثيرا من الضلال والدلالات التي تخدم المعنى الذي أرادته الشاعر، وهو وصفه بخبث الطوية •

ولعل السطر الشعري السابع يؤكد هذا المعنى ويدعمه •

وتبدو السخرية – كذلك – في السطرين الثامن والتاسع، وذلك حين يصف الشاعر هذا الصحفي باللؤم وخبث الطوية، فهو يلقي صاحبه باشا ضاحكا، بينما يده تخفي خنجره خلف ظهره، فأعجب لإنسان يمد إحدى يديه مسلما، ويبد الأخرى طاعنا وقاتلا • ولعل السخرية التي يحملها السطر الشعري الأخير تكون من أذع السخریات في هذا النص، وذلك حين يصفه الشاعر بالكراهية لنفسه، والكراهية للقدر الذي كتبه الله عليه ، وهذا يعني أنه إنسان به عيب نفسي يحتاج إلى علاج ومقاومة • وإلى هنا، نكون قد ألقينا الضوء على السخرية الشخصية في الشعر المصري في القرن العشرين، سواء أكانت ذاتية أم غيرية، خلقية أم خلقية راصدين – في كل ذلك – من الشواهد ما نرجوا أن يساعد في توضيح الرؤية، وإصابة الهدف، وبلوغ المراد •